مركز الذِّكْر

للدراسات الإسلاميّة

موقع :

الكاتب والمفكِّر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net

رد

المهندس عدنان الرفاعي

على قضايا مختلفة

المهندس عدنان الرفاعي

.. بعث لي أخ كريم رسالة بالبريد الإلكتروني يعلمني فيها أنَّ أخاً قد خطب خطبتي جمعة في عاصمة أوروبيّة ، ردَّ فيهما عليَّ في مسألتي : الخروج من النار ، والطلاق ، وأرفق برسالته هذه هاذين الردّين ، وطلب منّي الردّ على ذلك ، وبعد قراءتهما كتبت – وعلى عجل – هذه الكلمات الموجزة ، نزولاً عند طلب بعض الإخوة ، وتفعيلاً للحوار البنّاء الهادف لخدمة الحقيقة ..

.. في البداية يقول هذا الأخ : [[وطبعاً ابتداءً ليس الرجل من المتخصّصين في علم الشريعة ، ولا في التفسير ، ولا حتى في اللغة العربيّة ، وواضح ضعفه في هذه المسائل .....]] ..

وهنا أقول لهذا الأخ .. ما تتفضّل به ينطلق من فرضيّة مسبقة الصنع مؤدّاها أنَّ ما بين أيدينا من موروث يتمّ تداوله في المؤسّسات الدينيّة هو المعيار الأوَّل والأخير حتى لكتاب الله تعالى ، فمن يخالف هذا الموروث يخالف الأصول (حتى وإن كان من خريجي هذه المؤسّسات) ، ومن يخالف ما تمَّ تأطيره من تفاسير يُتَّهم بأنَّه عنده ضعف في علم التفسير واللغة ، لأنَّه – حسب الموروث – لا يجوز الخروج على بعض أقوال بعض السابقين ..

.. وممّا يؤكّد صحّة ما أقول هو قول هذا الأخ : [[لم أجد أيَّ شيء جديد عمَّا أدلى به من قرون وقرون ، الوعيديّة ، المعتزلة والخوارج والزيديّة والإباضيّة

..... جمهور المرجئة قالوا الإيمان مجرَّد عقد القلب وقول اللسان ، أمَّا العمل فأسقطوه من درجة الاعتبار ..... وبدهي أنَّ هذا قول متساخف جداً ومتهافت ، فلا بدَّ أن يسقط على أوَّل درجة من درجات النقاش العلمي .....]] ..

وأردُّ على ذلك فأقول : ما قدّمتُه في كلِّ المسائل التي طرحتها سواء في كتبي أم في برامجي ليست مستمدّة من مذهب محدَّد ولا من طائفة محدَّدة ، كلُّ الأدلّة أقدِّمها من كتاب الله تعالى القرآن الكريم .. ومع ذلك .. أرجو يا أخي أن تؤمن أنت بما تقول أنت !!! .. فقولك عن المرجئة الذين أسقطوا العمل [[وبدهي أنَّ هذا قول متساخف جداً ومتهافت ، فلا بدَّ أن يسقط على أوَّل درجة من درجات النقاش العلمي]] ، يتلاشى عندما تقف أنت مدافعاً عن الحديث التالي في صحيح البخاري ، والذي لا يختلف معناه أبداً عن قول المرجئة كما تقول ..

البخاري (٣١٨٠) :

حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِئٍ قَالَ حَدَّثَنِي جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ قَالَ الْوَلِيدُ حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ عَنْ عُمَيْرٍ عَنْ جُنَادَةَ وَزَادَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ

فالعبارة [[أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ الْعَمَلِ]] هي عين ما ذهبتْ إليه المرجئة حسب قولك .. والمهندس عدنان الرفاعي لأنَّه لا يعتقد أبداً بذلك ، وقف وصرخ بأعلى صوته واصفاً هذا الحديث – وأمثاله – بأنَّه موضوع ، بينما أيُّها الأخ أنتم تدافعون عن هذا الحديث وأمثاله ، فقط لأنَّه وارد في البخاري ..

.. إذاً .. القضيّة ليست قضيّة البحث عن مذهب من المذاهب لتحويله إلى صنم ، أو لوصفه بالخطأ من أوَّله إلى آخره ، المسألة مسألة بحث منهجي علمي سليم هدفه الوصول إلى الحقيقة .. فعندما تقف وتقول هذا الحديث غير صحيح لأنَّه يتعارض مع

صريح كتاب الله تعالى ويقزّم قيمة العمل ، عندها – فقط – يحقُّ لك أن تنتقد المرجئة وغيرهم ، وأن تنتمي إلى أمّة الوسط ، أما أن تنتقدهم – وأنت على حق في نقـــدك – ثمَّ تعود لتقرَّ هكذا رواية ، فهذا يا أخي هو عين الضعف الذي اتّهمتني ظلماً به ..

وفي الخطبة الأولى قرأت كلاماً لا علاقة له لا من قريب ولا من بعيد بما طرحت في برنامج المعجزة الكبرى أو في كتبي ، ولكن أقول للأخ الكريم : عليك أن تعلم أنَّ هناك ناموساً إلهيّاً هو : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤] ، فالقضيّة ليست قضيّة عمل واحد يقوم به الإنسان ، أبداً ، القضيّة محصّلة أعمال ، وقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [القارعة : ٦ – ١١] واضح وصريح ..

.. ولو كانت المسألة مسألة عمل واحد وليست مسألة محصلة أعمال ، لما دخل أحدٌ من المؤمنين الجنّة ، فلا يُوجد إنسان (باستثناء الأنبياء عليهم السلام) إلاّ وأخطأ في حياته .. فنحن لم نقل في يوم من الأيّام أنَّ دخول الجنّة والنار هو نتيجة عمل واحد .. أبداً ..

.. إذاً .. محصّلة الأعمال هي الحدّ الأوَّل في معادلة الدخول إلى الجنّة ، كما هو بيّن وجلي في هذه النصوص الكريمة ، والحدُّ الثاني هو الإيمان ، فاقتران الإيمان بالعمل كشرطين لدخول الجنّة واضحٌ وجليٌّ في كتاب الله تعالى ..

وجوهر المشكلة عند كلِّ الطوائف التي تفضّلت بتعدادها ، ودون استثناء ، نعم دون استثناء ، أنَّه تمّ احتكار صفة الإيمان فقط وفقط لا غير لأتباع الرسالة الخاتمة ، وفضلاً عن إخراج إمكانيّة دخول الجنّة لأصحاب الأديان الأخرى ، راحوا يخرجون بعضهم من أصحاب المذاهب الأخرى من إمكانيّة دخول الجنّة ..

.. كلُّ ذلك تمّ ويتمّ الدفاع عنه بشراسة على الرغم من أنَّهم يحفظون عن ظهر قلب قول الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ

بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٣ – ١٢٤] ..

.. وما يجب أن تعلمه يا أخي أنَّ قوله تعالى ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾ هو ردٌّ على الافتراء باحتكار الخلاص وبأنَّ الجنّة للمسلمين وحدهم ، وأنَّ قوله تعالى ﴿ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ هو ردٌّ على ذات الافتراء الذي افتراه أهل الكتاب على الله تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١] ..

.. إذاً .. كلُّ الطوائف والمذاهب سواءٌ التي تعتقد – أنت – أنّها على حق أم التي لا تعتقد أنَّها على حق ، كلّها ذهبت – في هذه المسألة – ذات المذهب الذي ذهبه أهل الكتاب بقولهم ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ ﴾ .. وللأسف تمَّ الإعراض عن قوله تعالى ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٣ – ١٢٤] ..

.. وأنا لا أريد أن أدخل في التفصيل فقد بيّنت في كتبي هذه الحقيقة بشكلٍ جلي .. ولكن أريد أن أسأل الأخ الكريم ، كيف لمسألة خاطئة عند اليهود ويبيّن الله تعالى لنا خطأها في كتابه الكريم ، كيف لها أن تكون جزءاً من عقيدتنا وصحيحة عندنا ؟!!! .. أليس زعمنا باحتكار الخلاص هو دليلٌ – من مئات الأدلّة – على أنَّ الكثير من موروثاتنا هو تقليدٌ أعمى لما افتراه أهل الكتاب ؟!!! ..

ولو أنَّ الأخ الكريم وُلد في مكانٍ آخر أهله على دين آخر أو مذهب آخر ، فهل كان سيقول ما يقوله الآن ؟!!! .. وماذا يفسّر لنا الأخ الكريم قوله تعالى ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٨] ..

.. أخي الكريم .. أدعوك لأن لا تهدر وقتك وأوقات غيرك بما قالته المرجئة وغيرها ، أدعوك للنظر في كتاب الله تعالى بعيداً عن مناظير الطوائف والمذاهب والعصبيّات المسبقة الصنع ، فالقرآن الكريم يا أخي أنزله الله تعالى ليحرِّرَنا من عبادة الأصنام ، فكيف لنا إذاً أن نحوِّل طوائفه ومذاهبه ورجالاته إمّا إلى أصنام أو إلى شياطين ؟!!! ..

.. ويقول هذا الأخ الكريم في خطبته التي ألقاها في عاصمة أوروبيّة :

[[ولذلك أنا كنت أود من أخينا المهندس عدنان الرفاعي وأمثاله ممّن يتكلّمون في هذه المسائل ولم يأتوا بجديد كل ما أتوا به هو بعض ما كتبه عبد الجبّار والإباضيّة والزيديّة ..... ما قاله المهندس عدنان الرفاعي هو بعض ما قاله هؤلاء اللوذعيون والعلماء الكبار ، بعض ما قالوه ، ولم يقله على وجهه ، وكنت أود أن يحقِّق وأن يدقِّق ..... أمّا أن تأتي هكذا تتقدّم دون أن تحكم هذه المسائل ، ثمّ تجازف برد عشرات الأحاديث الصحيحة الثابتة في صحاح المسلمين دون حتى أن تنظر فيها .....]] ..

أردّ فأقول : على ما يبدو يا أخي أنّك لم تطّلع على ما يقوله المهندس عدنان الرفاعي في هذه المسألة وغيرها الكثير .. فقولك بأنّني لم آتي بجديد ليس صحيحاً على الإطلاق ، بحثي مبني على ثوابت قرآنيّة محورها عدم احتكار الخلاص ، وكل مذاهبك التي تذكرها تذهب إلى احتكار الخلاص .. أمّا بالنسبة للأحاديث فأنصحك بمشاهدة برنامج : في سبيل الحكمة ، وعندها سترى أنَّ الكثير الكثير من الأحاديث التي تعتقد أنت أنّها صحيحة هي في حقيقتها ليست صحيحة ، وأدعوك لقراءة الحديثين التاليين ..

ابن ماجة (٣٩٨٣) :

حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ

أحمد (١١٧٦٣) :

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي الْمَاجِشُونَ عَنْ صَدَقَةَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ الْنُمَيْرِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ افْتَرَقَتْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَأَنْتُمْ تَفْتَرِقُونَ عَلَى مِثْلِهَا كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً

.. إذا كانت الفرق والمذاهب يكفِّر بعضها بعضاً بناء على هكذا روايات موضوعة ، وهم يقرؤون قول الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٣ – ١٢٤] ، فعن أيٍّ منطق وعن أيّ منهج علمي سليم تتحدّث ..

.. أخي الكريم .. عن أيٍّ منطق يمكنك أن تتحدَّث إن كنّت تعتقد بالحديث التالي وتفسيره ؟ ..

البخاري (٦٣٢٣) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْقُدُّوسِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ الْكِلَابِيُّ حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدّاً فَأَقِمْهُ عَلَيَّ قَالَ وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ قَالَ وَحَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدّاً فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللَّهِ قَالَ أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا قَالَ نَعَمْ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ أَوْ قَالَ حَدَّكَ

.. وقبل أن يلبّس علينا أحد .. لننظر في النصِّ التالي من فتح الباري بشرح صحيح البخاري فيما يخصّ هذا الحديث ..

[[..... أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني زنيت فأقم علي الحد " الحديث فحمله بعض العلماء على أنه ظن ما ليس زنا زنا فلذلك كفرت ذنبه الصلاة ، وقد يتمسك به من قال إنه إذا جاء تائبا سقط عنه الحد ، ويحتمل أن يكون

الراوي عبر بالزنا من قوله أصبت حدا فرواه بالمعنى الذي ظنه والأصل ما في الصحيح فهو الذي اتفق عليه الحفاظ عن عمرو ابن عاصم بسنده المذكور ، ويحتمل أن يختص ذلك بالمذكور لإخبار النبي صلى الله عليه وسلم أن الله قد كفر عنه حدَّه بصلاته ، فإن ذلك لا يعرف إلا بطريق الوحي فلا يستمر الحكم في غيره إلا في من علم أنه مثله في ذلك وقد انقطع علم ذلك بانقطاع الوحي بعد النبي صلى الله عليه وسلم .....]]

.. هل بعد هذا البيان من بيان ؟!!! .. هل ستقول بعد ذلك : الفرقة الفلانيّة والحديث الفلاني والعالم الفلاني ، أم أنَّ عليك أن تقول لا بدَّ من اعتبار كتاب الله تعالى معياراً لما هو دونه عملاً بقوله تعالى ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٦] ..

.. أمّا في الخطبة للثانية للأخ الكريم فقد قرأت قولَه :

[[أستطيع أن أتلمّح جانباً يمكن أن يكون سناداً ودعماً للملاحدة المشكّكين في الدين من أسّه وأصله ، أن يقال لو كان هذا الدين حقّاً وكان هذا الشرع صدقاً ، أين الرب ، أين عنايته ، أين فضله ، أين اهتمامه بهؤلاء المكلّفين المساكين الذين تركهم لا يفهمون ، ولا يفقهون كيف يطلّقون زوجاتهم إلى أن بعث الله المهندس عدنان الرفاعي ليعلّمهم الطلاق كما أراده الله تعالى ، لا كما فهمه أبو بكر وعمر والأئمة الأربعة والمذاهب التسعة ، وكل علماء الأمّة ، وهم بالألوف ، بل بالملايين ، ولا أدري كيف تأتّى له هذا .]] ..

وأردّ على ذلك فأقول : الله تعالى حفظ منهجه الخاتم من التحريف ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، وهذا لا يعني أن يفرض عليهم فرضاً جبريّاً الإدراك الحق لمعاني كتابه الكريم ، وإلاَّ لما كان هناك معنى للكثير من آيات كتاب الله تعالى التي تدعو للتدبّر والتفكّر في تلك الآيات .. لو كان الأمر كما يذهب الأخ الكريم لما كانت هناك مذاهب وطوائف مختلفة ، كلٌّ منها يعتقد أنَّه هو وفقط هو الفرقة الناجيّة التي هي وفقط هي على الحق ..

وأريد أن أسأل الأخ الكريم ، أليس قول الله تعالى ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [الحجر : ٩] ، واضحاً صريحاً يدركه كلُّ من يدرك الحدَّ الأدنى من قواعد اللغة العربيّة ؟!!! .. هل منع هذا القول المحفوظ من الله تعالى من وقوع معركة الجمل أو معركة صفّين أو معركة الحرّة أو غير ذلك من المجازر التي راح ضحيّتها عشرات الألوف من أعناق الصحابة على يد إخوانهم من الصحابة ذاتهم ؟!!! ..

.. نعم قوله تعالى ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [الحجر : ٩] ، هو نصٌ تكفَّل الله تعالى بحفظه شأنه شأن كلّ آيات كتاب الله تعالى ، ولكنَّ العمل بذلك هو مناط امتحاننا في هذه الدنيا ..

لذلك يا أخي آن الأوان لنهاية اللعب على معزوفة العواطف ، وآن الأوان للنظر بعين العقل والعلم واللغة والمنطق إلى آيات كتاب الله تعالى ..

.. وبالنسبة لقول الأخ عن فهم أبي بكر وعمر والأئمة الأربعة لكتاب الله تعالى فأقول ، ما موقفك من الحديث التالي ومن شرحه ؟!!!!!! ..

مسلم (٢٦٨٩) :

حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَاللَّفْظُ لِابْنِ رَافِعٍ قَالَ إِسْحَقُ أَخْبَرَنَا وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ الطَّلَاقُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَسَنَتَيْنِ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ طَلَاقُ الثَّلَاثِ وَاحِدَةً فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ اسْتَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ أَنَاةٌ فَلَوْ أَمْضَيْنَاهُ عَلَيْهِمْ فَأَمْضَاهُ عَلَيْهِمْ

.. أدعوك أخي الكريم لتنظر في شرح هذا الحديث في كتاب صحيح مسلم بشرح النووي ، لترى كيف تمّ الاختلاف بناء على هذه الروايات ، وكيف تمّ ترجيح القال والقيل على دلالات كتاب الله تعالى الواضحة وضوح الشمس وسط النهار ، فالعبارة

القرآنيّة ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ، هي خارج كل هذه الاختلافـــات ، ولا نرى أنَّها تُؤخَذ بعين الاعتبار في أيِّ رأي من هذه الآراء المتناقضة :

[[قوله : (عن ابن عباس قال : كان طلاق الثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم) . وفي رواية عن أبي الصهباء (أنه قال لابن عباس أتعلم إنما كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وثلاثاً من إمارة عمر ؟ فقال ابن عباس نعم) . وفي رواية (أن أبا الصهباء قال لابن عباس : هات من هناتك ألم يكن طلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر واحدة ؟ فقال : قد كان ذاك فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم ، وفي سنن أبي داود (عن أبي الصهباء عن ابن عباس نحو هذا إلا أنه قال كان الرجل إذا طلق امرأته قبل أن يدخل بها جعلوه واحدة) هذه ألفاظ هذا الحديث وهو معدود من الأحاديث المشكلة . وقد اختلف العلماء فيمن قال لامرأته أنت طالق ثلاثاً فقال الشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد وجماهير العلماء من السلف والخلف : يقع الثلاث . وقال طاوس وبعض أهل الظاهر : لا يقع بذلك إلا واحدة . وهو رواية عن الحجاج بن أرطأة ومحمد بن إسحاق والمشهور عن الحجاج بن أرطاة أنه لا يقع به شيء ، وهو قول ابن مقاتل ورواية عن محمد بن إسحاق . واحتج هؤلاء بحديث ابن عباس هذا ، وبأنه وقع في بعض روايات حديث ابن عمر أنه طلق امرأته ثلاثاً في الحيض ولم يحتسب به ، وبأنه وقع في حديث ركانة أنه طلق امرأته ثلاثاً وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم برجعتها . واحتج الجمهور بقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴾ قالوا : معناه أن المطلق قد يحدث له ندم فلا يمكنه تداركه لوقوع البينونة ، فلو كانت الثلاث لا تقع لم يقع طلاقه هذا إلا رجعياً فلا يندم . واحتجوا أيضاً بحديث ركانة أنه

طلق امرأته البتة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " الله ما أردت إلا واحدة ؟ " قال : الله ما أردت إلا واحدة . فهذا دليل على أنه لو أراد الثلاث لوقعن وإلا فلم يكن لتحليفه معنى . وأما الرواية التي رواها المخالفون ، أن ركانة طلق ثلاثاً فجعلها واحدة ، فرواية ضعيفة عن قوم مجهولين . وإنما الصحيح منها ما قدمناه أنه طلقها البتة ولفظ (البتة) محتمل للواحدة وللثلاث ولعل صاحب هذه الرواية الضعيفة أعتقد أن لفظ (البتة) يقتضي الثلاث فرواه بالمعنى الذي فهمه وغلط في ذلك . وأما حديث ابن عمر فالروايات الصحيحة التي ذكرها مسلم وغيره أنه طلقها واحدة . وأما حديث ابن عباس فاختلف العلماء في جوابه وتأويله ، فالأصح أن معناه أنه كان في أول الأمر إذا قال لها : أنت طالق أنت طالق أنت طالق ، ولم ينو تأكيداً ولا استئنافاً يحكم بوقوع طلقة لقلة إرادتهم الاستئناف بذلك فحمل على الغالب الذي هو إرادة التأكيد ، فلما كان في زمن عمر رضي الله عنه وكثر استعمال الناس بهذه الصيغة وغلب منهم إرادة الاستئناف بها حملت عند الإطلاق على الثلاث عملاً بالغالب السابق إلى الفهم منها في ذلك العصر . وقيل المراد أن المعتاد في الزمن الأول كان طلقة واحدة وصار الناس في زمن عمر يوقعون الثلاث دفعة فنفذه عمر ، فعلى هذا يكون إخباراً عن اختلاف عادة الناس ، لا عن تغير حكم في مسألة واحدة . قال المازري وقد زعم من لا خبرة له بالحقائق : أن ذلك كان ثم نسخ . قال : وهذا غلط فاحش لأن عمر رضي الله عنه لا ينسخ ولو نسخ وحاشاه لبادرت الصحابة إلى إنكاره ، وإن أراد هذا القائل أنه نسخ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فذلك غير ممتنع ، ولكن يخرج عن ظاهر الحديث . لأنه لو كان كذلك لم يجز للراوي أن يخبر ببقاء الحكم في خلافة أبي بكر وبعض خلافة عمر . فإن قيل فقد يجمع الصحابة على النسخ فيقبل ذلك منهم . قلنا : إنما يقبل ذلك لأنه يستدل بإجماعهم على ناسخ ، وأما أنهم ينسخون من تلقاء أنفسهم فمعاذ الله لأنه إجماع على الخطأ وهم معصومون من ذلك . فإن قيل : فلعل النسخ إنما ظهر لهم في زمن عمر . قلنا : هذا غلط أيضاً ، لأنه يكون قد حصل الإجماع على الخطأ في زمن أبي بكر والمحققون من الأصوليين لا

يشترطون انقراض العصر في صحة الإجماع والله أعلم . وأما الرواية التي في سنن أبي داود أن ذلك فيمن لم يدخل بها ، فقال بها قوم من أصحاب ابن عباس فقالوا : لا يقع الثلاث على غير المدخول بها ، لأنها تبين بواحدة بقوله : أنت طالق فيكون قوله ثلاثاً حاصل بعد البينونة فلا يقع به شيء . وقال الجمهور : هذا غلط بل يقع عليها الثلاث ، لأن قوله : (أنت طالق) . معناه ذات طلاق . وهذا اللفظ يصلح للواحدة والعدد ، وقوله بعده (ثلاثاً) تفسير له . وأما هذه الرواية التي لأبي داود فضعيفة ، رواها أيوب السختياني عن قوم مجهولين عن طاوس عن ابن عباس فلا يحتج بها والله أعلم . قوله : (كانت لهم فيه أناة) . هو بفتح الهمزة أي مهلة وبقية استمتاع لانتظار المراجعة .]] ..

.. أخي الكريم أدعوك للنظر في النصِّ التالي الذي اقتبسه لك بحرفيّته من تفسير القرآن الكريم لابن كثير ، في مسألة صومِ أيام التشريق ، وذلك في تفسير الآية (١٩٦) من سورة البقرة :

﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾ [البقرة : ١٩٦] ..

لقد ورد في تفسير هذه الآية النصَّ التالي الذي أقتطعه لك بحرفيّته التي يردُ بها :

[[[فلو لم يصمها أو بعضَها قبل العيد فهل يجوز له أن يصومها في أيّام التشريق ؟ ، فيه قولان للعلماء ، وهما للشافعي رحمه الله تعالى :

١ – القديم منهما أنّه يجوز له صيامها لقول عائشة وابن عمر في صحيح البخاري لم يرخّص في أيّام التشريق أن يصمن إلاّ لمن لم يجد الهدي ، هكذا رواه مالك عن الزهري عن عروة عن عائشة وعن سالم عن ابن عمر ، وقد رُوي من غير وجه عنهما ورواه سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي أنّه كان يقول من فاته صيام ثلاثة أيام في الحج صامهنّ أيام التشريق ، وبهذا يقول عبيد بن عمير الليثي عن عكرمة والحسن البصري وعروة ابن الزبير ، وإنّما قالوا ذلك لعموم قوله تعالى : (فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ)

٢ – الجديد من القولين أنّه لا يجوز صيامُها أيامَ التشريق لما رواه مسلم عن قتيبة

الهُذَلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أيام التشريق أيّام أكل وشرب وذكر الله عزّ وجل ..]]] ..

.. يا أخي الكريم .. إذا كان للشافعيّ رأيان متناقضان في جزئيّة فقهيّة واحدة ، يعتمد في رأيه الأوّل على رواية أُخرجت لاحقاً في صحيح البخاري ، ويعتمدُ في رأيه الثاني المناقض للرأي الأوّل على رواية أُخرجت لاحقاً في صحيح مسلم .. بعد ذلك .. عن أيّ إجماعٍ يمكنك أن تتحدَّث ؟!!! ..

.. ويقول الأخ الكريم : [[كأنَّ للحامل عدّتين ، عدّة بالقروء ، وعدّة بالحمل ، وهذا لم يقله أحد ، شيء عجيب لا يخطر على بال بشر .]] ..

وأردّ على ذلك فأقول : ما قلته أنا هو أنَّه في كتاب الله تعالى علينا أن نميِّز بين العدّة والأجل ، فكلٌّ مسألة من هاتين المسألتين لها دلالاتها الخاصّة التي تميّزها عن الأُخرى ، ومن الأدلّة على ذلك هو قوله تعالى ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾ [الطلاق : ٤] ..

.. كلمة ﴿ فَعِدَّتُهُنَّ ﴾ تتفرّع من جذر لغويٍّ يختلف تماماً عن الجذر اللغوي الذي تتفرّع منه كلمة ﴿ أَجَلُهُنَّ ﴾ ، وهذا التمايز ليس عبثاً ، فالعدّة هي فترة تربّص عن المعاشرة الزوجيّة ، والأجل يتمّ ببلوغه حسم العلاقة الزوجيّة إمّا بالإمساك وإمّا بالفراق ، يقول تعالى ﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ ﴾ [الطلاق : ٢] ..

وقلنا العدّة والأجل يتطابقان بالنسبة للمرأة المطلّقة غير الحامل ، ويختلفان بالنسبة للمرأة المطلّقة الحامل ، والآية الكريمة ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ

وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، تبيّن هذه الحالة (المرأة المطلقة الحامل) .. وكلامنا في ذلك واضح وصريح في كتاب المعجزة الكبرى وفي برنامج المعجزة الكبرى ..

.. ويقول الأخ في خطبته :

[[يا أيّها النبي إذا طلقتم النساء ..... قال : وضعوا أيديهم في جيوبهم وأخرجوا كلمة أردتم ووضعوها في القرآن ، الله يقول طلّقتم وهم يقولون إذا أردتم أن تطلّقوا ، كأنَّه يريد أن يقول إنَّ هذا ما لا يقله الله ، هذا كذب على القرآن ، وغلط على الله ..... قال الله تبارك وتعالى : فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، قولوا لي ، على طريقة المهندس عدنان الرفاعي لا بدَّ أن تقرأ في الأوَّل دون أن تستعيذ ، فإذا انتهيت من القراءة تقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، لأنَّ الله تعالى قال فإذا قرأت القرآن فاستعذ ... إذا طلقتم النساء فطلقوهن ، إذاً لا بدَّ من أن تطلّق ، لا تقل لي إذا أردت أن تطلّق ، إذا أردت أن تقرأ فاستعذ ، وهذا هو الصحيح ، هذا الذي فهمه كلّ علماء الإسلام عبر العصور ، وكلّ علماء اللغة ، لو قرأ أيَّ كتاب في النحو لفهم هذا .....]] ..

وأردّ على ذلك فأقول : قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل : ٩٨] ، لا يعني ما ذهب إليه الأخ الكريم ، فالاستعاذة من الشيطان الرجيم ليست مجرَّد عبارة يتمّ النطق بها في بداية قراءتنا لكتاب الله تعالى ، نحن لا ننكر العبارة والنطق بها ، لكنَّ المعني بالاستعاذة هو أن يلجأ قارئ القرآن الكريم إلى الله تعالى أثناء قراءته للقرآن الكريم ، بمعنى أن يستحضر عظمة الله تعالى وقدرته سادّاً أيَّ طريق من الممكن للشيطان أن يتسلَّل به إلى نفس الإنسان ..

فالله تعالى لم يقل : (فإذا قرأت القرآن فقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ، إنّما يقول جلّ وعلا : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ، والآية الكريمة التالية مباشرةً لهذه الآية الكريمة تؤكِّد ذلك :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل : ٩٨ – ٩٩]

وهذا مثله مثل الكثير من آيات كتاب الله تعالى التي يأمرنا الله تعالى بها أن نسبّحه ونحمده ونشكره ، فالتسبيح والحمد والشكر والاستعاذة كلّها تكون باستحضارٍ ذهنيٍّ وعملٍ يُنَزَّه اللهُ تعالى بها وليست مجرّد أقوال يتمّ النطق بها وينتهي الأمر ..

.. إذاً الاستعاذة المعنيّة ليست مجرّد جملة يتمّ النطق بها قبل القراءة لينتهي الأمر عند ذلك ، إنّما هي عمل فكريٌّ ونفسيٌّ يرافق قراءة القرآن الكريم ..

.. فلو أراد الله تعالى جملة معيّنة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) لسبقت هذه الآية الكريمة بكلمة (قل) كما هو في قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون : ٩٧ – ٩٨] .. فليس من المعقول أن ورود الكلمة وعدم ورودها سيّان ..

.. وهنا نسأل الأخ الكريم السؤال التالي : بناء على إضافتكم لكلمة (أردتم) إلى العبارة القرآنيّة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [الطلاق : ١] ، هل نستطيع أن نضيف هذه الكلمة إلى عبارة مماثلة لها تماماً ، ترد مرّتين في كتاب الله تعالى :

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ [البقرة : ٢٣١]

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ [البقرة : ٢٣٢]

فبناء على كلام الأخ الكريم ستصبح العبارة القرآنيّة ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ على الشكل (وإذا أردتم تطليق النساء فبلغن أجلهن) ، بمعنى أنّه بمجرّد وقوع الإرادة بتطليق النساء سيبلغن الأجل .. وهذا ما لا يقبله عقلٌ ولا منطق .. فكيف إذاً يُطلب منّا أن نُدخل أيدينا في جيوبنا ونستخرج كلمة ونقوم بإضافتها إلى عبارة قرآنيّة ، فقط لنوافق تصوّرات مسبقة الصنع ؟!!! ... نترك الإجابة لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

.. والمقارنة بين قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [الطلاق : ١] ، وبين قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل : ٩٨] ، ليست صحيحة على الإطلاق ، ففي الآية الكريمة قيد الدراسة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ ، تعلّق الأمر بقوله تعالى ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ ، أي أنَّ التطليق للعدّة هو الأمر المطلوب ، وليس المطلوب هو مجرّد وقوع الطلاق ، وهذا لا يكون إلاَّ متعلّقاً بالعدّة التي لا تبدأ إلاّ بعد وقوع الطلاق كما بيّنا ، فالطلاق وقع بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ ، والعبارة القرآنيّة ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ تفيد أمراً آخر هو بعد وقوع الطلاق ..

.. وورود صيغة القراءة دون التلاوة ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ ، يزيد في تأكيد صحّة ما نذهب إليه من أنَّ الاستعاذة هي استحضار ذهنيٌّ ونفسي ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ، فالقراءة تتعلّق بالاستنباط وإدراك ما خلف السطور ، وهذا يكون طيلة فترة القراءة وليس مجرّد مرحلة قبلها .. كلُّ ذلك يؤكّد أنَّ مقارنة الأخ ليست سليمة ..

.. ويتابع الأخ الكريم قائلاً :

[[قال تبارك وتعالى إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ، إذا قمتم إلى الصلاة ، إذا أردتم القيام إلى الصلاة ، قال تعالى أهلكناها فجاءها بأسنا ، أردنا إهلاكها حتماً قولاً واحداً ..... أردنا إهلاكها أتعرفون لماذا ؟ ، لأنَّه لا يمكن أن يكون جاءها بأسنا بعد أن نكون قد أهلكناها ، مستحيل ، إذاً كيف هلكت ، هي هلكت بالبأس ، إذاً لا بدَّ أن يكون معنى أهلكناها هو : أردنا إهلاكها ، ولذلك أنها بأسنا . قال تعالى لمحمّد ﷺ : وإن حكمت فأحكم بينهم ، متى يحكم بينهم بعد أن يكون حكم ، ما معنى : إن حكمت ؟ ، إن أردت أن تحكم فاحكم بينهم ، كثيرة جداً ، وقرآن الله طافح مملوء من هذه النماذج ..... المهندس عدنان قال لا إذا طلّقتم حقّاً ، وجهل هذه القاعدة المعمول بها ، وشواهدها أكثر من أن تُحصَر ، وأشهر

من أن تُذكَر ، قال : فطلقوهنّ أي بعد أن تنقضي العدّة إمّا أن تمسكوا وإمّا أن تفارقوا ، ويحرم عليكم أن تعاشروهن معاشرة الأزواج في فترة العدّة ، خارقاً الإجماع مرّة أُخرى ..]] ..

وأردّ على ذلك فأقول : لقد بيّنت ذلك في البرنامج وقبل ذلك في كتاب المعجزة الكبرى ، فالله تعالى يقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾ [المائدة : ٦] ، ولم يقل (إذا صليتم) ، فالعبارة ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ واضحة وصريحة بأنّه إذا قمنا إلى الصلاة ، وهذا يعني أنَّ بيننا وبين الصلاة مسافة ، كأن نقول لفلان : إذا قمت إلى المدينة .. بينما في العبارة القرآنيّة موضوع الدراسة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ ، نرى العبارة ﴿ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ ، وليس : (إذا أردتم تطليق النساء) ، أو (إذا عزمتم طلاق النساء) .. ولذلك فالاحتجاج بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾ ، لإضافة كلمة (أردتم) إلى قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ هو الآخر ليس سليماً على الإطلاق ..

.. أمّا بالنسبة للآية الكريمة ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ [الأعراف : ٤] .. فإنّنا نرى أنَّ إهلاك القرى يسبق مجيء البأس إليها .. فكلمة ﴿ أَهْلَكْنَٰهَا ﴾ تسبق العبارة ﴿ فَجَآءَهَا بَأْسُنَا ﴾ ، وهذا ليس عبثاً .. وهذا لا يدفعنا لأن نُدخل أيدينا في جيوبنا لنستخرج منها كلمة (أردنا) لنضيفها إلى النص بحيث تصبح كلمة ﴿ أَهْلَكْنَٰهَا ﴾ على الشكل (أردنا هلاكها) .. فلو أراد الله تعالى هذه الصياغة لجاء بها ، ولما ترك هذه الآية الكريمة ناقصة – حسب زعمهم – لهذه الكلمة .. وفي قوله تعالى التالي أكبر دليل .. ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٦] ..

.. المسألة تكمن في كلمة ﴿ قَرْيَة ﴾ ، فكلمة قرية في كتاب الله تعالى دلالاتها تختلف عن دلالات كلمة مدينة ، وقد بيّنت ذلك بشكلٍ مفصَّل في النظريّة الثالثة (الحق المطلق) ، فالقرية تصف الجانب الفكري والعقائدي في المجتمع ، بينما كلمة المدينة تصف الجانب المادّي والحضاري ..

.. وفيما يلي أنقل حرفيّاً من كتابي : النظريّة الثالثة (الحق المطلق) نصّاً يتعلّق بهذه المسألة :

[[.. في سورة الكهف ، وفي قصّة موسى عليه السلام مع العبد الصالح ، وفي مسألة أهل القرية التي بنى العبد الصالح فيها جداراً ، نرى في بداية النصّ القرآني المصوّر لهذه القصّة ، نرى كلمة ﴿ قَرْيَةٍ ﴾ ..

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف : ٧٧]

وفي سياق النصّ المُصوِّر لهذه القصّة نرى ورود كلمة ﴿ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ ..

﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٨٢]

فما الحكمة من ذلك ؟!!! ..

بالعودة إلى مشتقّات الجذر (م ، د ، ن) في القرآن الكريم وكذلك مشتقّات الجذر (ق ، ر ، ي) ، نرى ما يلي :

١ – وردت كلمة ﴿ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ في القرآن الكريم (١٤) مرّة ، جاءت فيها جميعاً معرّفةً بأل التعريف ، ووردت كلمة القرية (٣٣) مرّة ، جاءت فيها معرّفة بأل التعريف ﴿ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ وغير معرّفة ﴿ قَرْيَةٍ ﴾ ..

٢ – لم تأت كلمة ﴿ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ مضافة ولا مرّة في كتاب الله تعالى .. بينما وردت القرية مضافة : ﴿ قَرْيَتِكَ ﴾ ، ﴿ قَرْيَتِكُمُ ﴾ ، ﴿ قَرْيَتِنَآ ﴾ ..

٣ – خُوطبت القرية في القرآن الكريم كذات تؤمن وتُسأل وتملك القوّة وتهلك وتفسد وتعتو عن أمر ربّها ، وبالتالي خُوطبت خطاب العقلاء .. ولم تُخاطب المدينة بذلك الخطاب ..

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ [يونس : ٩٨]

﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف : ٨٢]

﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٦]

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ﴾ [الحج : ٤٨]

﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ [النمل : ٣٤]

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ ﴾ [محمد : ١٣]

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ ﴾ [الطلاق : ٨]

٤ – كلمة ﴿ أَهْلُ ﴾ تأتي مضافة للقرية ، وتأتي مضافة للمدينة ..

﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الحجر : ٦٧]

﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ [العنكبوت : ٣١]

ممّا سبق نرى أنَّ المدينة ترد صفةً للجانب المادّي الحضاري للتجمعّات البشريّة ، فهذه الصفة ظاهرة ومُشاهدة وبالتالي معروفة ، لذلك رأينا أنّ ﴿ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ تأتي دائماً معرّفة بأل التعريف ، ولم تأت نكرة ولا مرّة .. أمّا ﴿ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ فترد صفةً لجميع النشاطات البشريّة الفكريّة والعقائديّة ، تلك النشاطات التي منها الظاهر ومنها المخفي ، ولذلك رأينا أنَّها تأتي مُعرّفة ﴿ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ وتأتي غير معرّفة ﴿ قَرْيَةٍ ﴾ ، ورأيناها تُضاف ، وتُخاطَب كذات عاقلة تؤمن وتظلم وَ .....

وهكذا نرى أنَّ ورود كلمتي القرية والمدينة في قصّة موسى عليه السلام مع العبد الصالح يأتي بشكلٍ مُطلقٍ يوافق موافقةً مطلقة الموقف المناسب في كلّ حالة .. فطلب الطعام يتعلّق بالجانب البشري من كرمٍ وغيره ، وهذا تُناسبه كلمة قرية ، بينما بناء الجدار يتعلّق بالجانب المادّي الحضاري ، وهذا تناسبه كلمة المدينة ..

ومن جهةٍ أخرى فإنَّ هذين الغلامين صاحبي الجدار ينتميان إلى هذا التجمّع البشري انتماءً ماديّاً فقط ، بمعنى يأكلون ويشربون ويعيشون في هذا التجمّع البشري ، فهما ينتميان إلى هذا التجمّع انتماءً يتعلّق بصفة المدينة التي تصفه ، ولذلك نرى الوصف ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ .. وهذان الغلامان لا ينتميان إلى هذا التجمّع انتماءَ معتقد وفكر وأخلاق وقيم .. لذلك لم يتعلّقا بهذا التجمّع تعلقاً من زاوية وصفه بصفة القرية ..]]

.. كلُّ الحضارات تهلك فكريّاً قبل هلاكها المادّي ، بل إنَّ هلاكها وفسادها الفكري هو مقدّمة لهلاكها المادّي ، وهذا الناموس الإلهي واضح وصريح في كتاب الله تعالى .. يقول تعالى :

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾

[القصص : ٥٨ – ٥٩]

.. فهلاك القرى هو نتيجة للظلم وللفساد الأخلاقي والابتعاد عن منهج الله تعالى ، وهلاك القرى هو سقوط الجانب الفكري للتجمعات البشريّة ، وهذا ما تصفه كلمة ﴿ أَهْلَكْنَٰهَا ﴾ في الآية الكريمة ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ ، وهذا الهلاك بما يعنيه من سقوط في القيم والمبادئ ومن فساد روحي نتيجتُهُ الدمار الحضاري ، وهذا ما تنطق به العبارة ﴿ فَجَآءَهَا بَأْسُنَا ﴾ في هذه الآية الكريمة .. فنحن إذاً أمام مقدّمة هي ﴿ أَهْلَكْنَٰهَا ﴾ ، وأمام نتيجة هي ﴿ فَجَآءَهَا بَأْسُنَا

﴾ ، وهذا ما تنطق به هذه الآية الكريمة ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ ..

.. إذاً .. لا يحقّ لنا أن نضيف كلمات إلى كتاب الله تعالى ، ولا يحقّ لنا أن نحذف دلالات كلمات من كتاب الله تعالى ، ولا يحقّ لنا أن نستبدل دلالة كلمة بكلمة في كتاب الله تعالى ، كما فعلوا حينما وضعوا دلالتي العدّة والأجل في مكان واحد دون أيِّ تمييز بينهما ..

.. أمّا قوله تعالى ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة : ٤٢] ، فنرى فيه مقدّمة هي ﴿ فَإِن جَآءُوكَ ﴾ ، ونرى نتيجة هي ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ ﴾ .. بعد ذلك .. نرى تفصيلاً لهذه المقدّمة ونتيجتها ﴿ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ ﴾ ، وكلُّ ذلك تفصيلٌ يبيّن حيثيّات الحكم ، فكلمة ﴿ حَكَمْتَ ﴾ ، وكذلك كلمة ﴿ فَٱحْكُم ﴾ لا تعنيان مجرّد لحظة النطق بالحكم ، إنّما تعني كلَّ فترة التحقّق من الأدلّة ، والتي تبدأ بمجيئهم وتنتهي بانتهاء الحكم ..

.. أيّها الأخ الكريم .. المهندس عدنان الرفاعي لا يجهل ما في الموروث كما تتخيّل .. المهندس عدنان الرفاعي يقدّس كتاب الله تعالى ، ويعتقد – حقيقة – أنَّ صياغته مطلقة ، وأنَّه لا يجوز التلاعب بترتيب صياغة كلماته وجمله .. المهندس عدنان الرفاعي يعتقد أنَّه لا يجوز إضافة دلالات كلمات من جيوبنا إلى صياغة النصّ القرآني .. والمهندس عدنان الرفاعي يعتقد أنَّ كتاب الله تعالى لا يوُجد فيه اختلاف ، ولذلك أنكر الناسخ والمنسوخ الذي تمَّ تلفيقه ظلماً وعدواناً على كتاب الله تعالى ..

.. ويتابع الأخ قائلاً :

[[.. قال أنا أُفسِّر قوله تبارك وتعالى : والمطلّقات يتربّصن أنفسهن ثلاثة قروء ، قال معنى يتربّصن بأنفسهن ، أي يمتنعن بأمر الله عن المعاشرة الجنسيّة . أقول له : ممتاز ، إن صحّ لك هذا وهو لا يصحّ لا لغة ولا معنى ، لا باللفظ ولا بتوجيه اللفظ في سياقه ، إن صح لك هذا ، فبالله ربِّك قل لي : كيف يصحّ لك مثله أو نظيره في قوله عزّ من قائل : والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربّصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ، يمتنعن عن المعاشرة الجسميّة من الأموات ، من زوجها الميّت ، ممنوع أن تعاشر زوجها الميّت أربعة أشهر وعشراً ، هل يصح هذا ؟! ..... لم يبق إلاّ أن نصادق على قول جماهير الأمّة سنّة وشيعة وإباضيّة ومعتزلة وخوارج وغيرهم ، يتربّصن أي ينتظرن ، إنّها فترة العدّة ، يحد الله حدّاً للعدّة ، لا تقول لي معنى يتربّصن بمعنى يمتنعن عن المعاشرة الجنسيّة ، وإلاّ كيف تمتنع المتوفى عنها عن معاشرة زوجها المتوفّى]] ..

وأردّ على ذلك فأقول : التربّص المعني بقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٤] ، ليس مع الزوج المتوفّى ، لا يا أخي ، التربّص المعني هو الانتظار بأن لا تتزوّج من إنسان آخر طيلة هذه الفترة ، ولا أعتقد أنَّ إنساناً على وجه الأرض يقول بأنَّ التربّص هنا من الممكن أن يكون عن الزوج المتوفّى .. التربّص هو انتظار يتمّ فيه الامتناع عن المعاشرة الزوجيّة في هذه الفترة .. وكذلك الأمر بالنسبة للتربّص في مسألة المطلقات ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] ، ولكن هنا الامتناع هو عن الزوج وعن غيره ، بمعنى عدم المعاشرة مع الزوج بالعودة للحياة الزوجية ، وعدم الزواج من آخر ..

وأنا استغرب كلام الأخ هذا [[فبالله ربِّك قل لي : كيف يصحّ لك مثله أو نظيره في قوله عزّ من قائل : والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربّصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ، يمتنعن عن المعاشرة الجسميّة من الأموات ، من زوجها الميّت ،

ممنوع أن تعاشر زوجها الميّت أربعة أشهر وعشراً ، هل يصح هذا ؟!]] ، وكأنَّ هذه العبارات آتية من إنسانٍ آخر غير الذي نطق بالكلمات السابقة .. فمن هذه الكلمات نرى أنَّ هذا الأخ لم يشاهد ما قمنا بشرحه في البرنامج ، ولم يقرأ ما بيّنته في كتبي ..

ولذلك فالنتيجة التي وصل إليها [[لم يبق إلاّ أن نصادق على قول جماهير الأمّة سنّة وشيعة وإباضيّة ومعتزلة وخوارج وغيرهم]] ليست سليمة على الإطلاق ، لأنّها لم تتّكئ على مقدّمات صحيحة ..

ويتابع هذا الأخ قائلاً :

[[قال : وبعولتهن أحقّ بردّهن في ذلك إن أرادوا إصلاحاً ، قال : أحقّ بردّهن ، تعارض حقّان ، حقّه في ردّها ، وحقّها في نفسها ..... أقول له لقد أخطأت مرّة أُخرى يا أيّها المهندس الفاضل وفقك الله ، لماذا ؟ ، لأنَّ هناك باباً مشهوراً جداً في العربيّة في النحو ، باب سلب التفضيل أو المفاضلة عن أفعل التفضيل ، هناك أفعل تفضيل مسلوبة المفاضلة ، عار عن المفاضلة ، وهو كثير جداً ، قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام : ربِّ السجن أحبّ إليَّ ممّا يدعونني إليه ، لو أخذت أنت هنا (أحب) أفعل تفضيل على بابه ، وأنَّه للتفضيل ، معنى هذا والعياذ بالله أن يوسف يحبّ الفاحشة ، لكن السجن أحبّ إليه ، هذا محبوب ، وهذا أحب ، ولا يقول بهذا من ذاق من العربيّة شيئاً ، ..... قال تعالى حتى إذا رأوا ما يوعدون إمّا العذاب وإمّا الساعة فسيعلمون من هو شرٌّ مكاناً وأضعف جنداً ، معنى ذلك أنَّ المتّقين وفي رأسهم محمّد ﷺ مكانه شرّير ، ولكنَّ الكفّار مكانهم أشر ، هل يقول بهذا مؤمن ، ..... وفي قوله تعالى في سورة القمر ، وهي قراءة ، سيعلمون غداً من الكذّاب الأشر ..... هذا اسم مسلوب المفاضلة ، أفعل التفضيل هنا مسلوب المفاضلة . وكذلك القول في قوله تعالى : وبعولتهن أحقّ بردّهن ، مسلوب المفاضلة ، لم يتعارض هنا حقّان على الصحيح الأرجح من أقوال السادة المفسّرين ، وإنّما المعنى هنا هذا الاسم يراد به معنى اسم الفاعل ، أي بعولتهن حقيقون بردّهن ، أحق هنا بمعنى حقيق ، وليس على وجهه لأنَّه لم يتعارض حقّان .....]] ..

.. بالنسبة لكلمة ﴿ أَحَبُّ ﴾ في قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣٣] .. فالترجيح ليس بين حبّين يحبّهما يوسف عليه السلام ، إنّما هو ترجيح بين أمرين يختار منهما يوسف عليه السلام أيّهما أقلّ ضرراً ، فيوسف عليه السلام لا يحب السجن ، ولا يحب ما يُدعى إليه من الفاحشة ، وهما أمران لا يوجد في أيٍّ منهما خير .. هذا هو مبدأ التفضيل الذي نعنيه .. فالمسألة نسبيّة ، وبالنتيجة هناك أمران لا بدَّ من ترجيح أحدهما على الآخر ، وهذا لا يقتضي أنَّ الأمرين هما خيران ، أبداً ، جوهر المسألة أنَّ هناك أمرين يتمُّ فيهما اختيار أحدهما على الآخر وترجيحه بسبب كونه مقارناً مع الأمر الآخر المرجوح .. هذا هو المبدأ ..

.. فيوسف عليه السلام في حال وضعه بين أمرين : إمّا أن يصبو إليهن أو أن يسجن ، فبالتأكيد سيرجّح السجن على الأمر الأوَّل ، وهذا لا يعني أنَّ السجن خير ، أو أنَّ الفاحشة معهن خير .. مبدأ الترجيح ليس كذلك .. ولذلك ما ذهب إليه الأخ لا علاقة له بما ذهبنا إليه في تفسير قوله تعالى ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ۚ ﴾ ، فالترجيح هنا هو بين أمرين ، أمر يعود للزوجة وهو حقّها في الانفصال كون القروء الثلاثة قد انتهت ، وأمر يعود للزوج كونه يوجد له جنين في بطن زوجته المطلّقة ، هذا ما قلنا وما زلنا نقوله ، ولا علاقة لكلٍّ ذلك بما يذهب إليه هذا الأخ ..

.. وكذلك الأمر في قوله تعالى ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ [مريم : ٧٥] .. فالعبارة ﴿ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ لا تقتضي ما قاله الأخ الكريم [[محمّد ﷺ مكانه شرّير ، ولكنَّ الكفّار مكانهم أشر]] .. المسألة مسألة موقف يتعلّق بمقارنة بين حالتين اثنتين دون أن يُشترط وجود هاتين الساحتين باتّجاه واحد ، أبداً ، فالعذاب الذي يُوعدون به سيضعهم في موقف مختلف تماماً عن موقف

المؤمنين وهو ﴿ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ .. وكلمة ﴿ وَأَضْعَفُ ﴾ هي أيضاً تفيد المقارنة بين أمرين ، وهذا لا يقتضي أنَّ الأمرين باتّجاه واحد وكلاً منهما جنده ضعيف ولكن هم أكثر ضعفاً .. أبداً .. المسألة تفيد مقارنة بين أمرين يتمّ في نهايتها إطلاق نتيجة هي أنَّهم ﴿ وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ .. فمن قال إنَّ الترجيح لا يكون إلا بوجود المسألتين باتّجاه واحد هو السلب دون الإيجاب أو الإيجاب دون السلب ؟!!! ..

.. وكذلك الأمر في قوله تعالى ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ [القمر : ٢٦] ..... ولا أريد الإطالة ، فقوله تعالى ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ۚ ﴾ ، هو بالتأكيد يفيد ترجيح حق على حق ، بمعنى ترجيح حق الزوج على حقّ الزوجة ، بمعنى هو بالتأكيد يفيد وجود حق مرجوح للزوجة ، وهذا الحق هو نتيجة انقضاء القروء الثلاثة .. ولا أريد الإطالة فقد بيّنت في كتاب المعجزة الكبرى هذه المسألة بشكلٍ جلي ..

وأنا هنا أودّ أن أسأل هذا الأخ ، لماذا لم يقف عن كلِّ الحقائق التي تعرّضنا لها ، فمثلاً لماذا لم يقف عند كلمة ﴿ بَعْدَ ﴾ في قوله تعالى ﴿ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق : ١] ؟!!! ..

ولماذا لم يقف الأخ الكريم عند قوله تعالى ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .. وبالضبط عند تأخير العبارة ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ۚ ﴾ عن العبارة ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ﴾ ، وما يقتضيه ذلك من تعلّق بالحمل وليس بالحيض أو بالعدّة ..

.. وعندما احتجّ هذا الأخ على احتجاجنا على إضافة كلمة أردتم لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [الطلاق : ١] ، لماذا لم يكلِّف نفسه بالوقوف عند العبارتين القرآنيّتين التاليتين المشابهتين تماماً بالصياغة اللغويّة لهذه العبارة ، حيث يستحيل فيهما إضافة كلمة أردتم كما بيّنا ..

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ [البقرة : ٢٣١]

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ [البقرة : ٢٣٢]

.. ولماذا يتمُّ الهروب إلى آيات أُخرى وتلبيسها بمعاني لا تحملها لا من قريب ولا من بعيد – كما بيّنا – فقط لموافقة موروث كان من المفروض أن يعاير على كتاب الله تعالى ، لا العكس ؟!!! ..

ويتابع هذا الأخ قائلاً :

[[من الحجج التي طوَّل المهندس الفاضل ، وأكَّد أهميّتها ، وهي من أقوى ما أتى به ، حتى أكون صادقاً ، والله يحبّ الانصاف ، فإنَّ كلَّ شيء وفاء وتطفيفاً ، قال قوله تعالى : فإذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ، قال ممّا يدلّ على أنَّ ما يسمّى بفترة العدّة أي التربّص لا بدّ أن تنقضي ، ويحرم فيها المراجعة ، لأنَّ الله تعالى لم يقل : فإن بلغن أجلهن ، وإنّما قال : فإذا بلغن أجلهن . قال : الله تبارك وتعالى لم يقل : فإن بلغن أجلهن ، لو قال ذلك سيكون شهادة لرأي الجماهير ، لرأي أمّة محمّد كلّها في مقابل عدنان الرفاعي ، لكن هم مغلوبون وظاهر عليهم لصالح عدنان الرفاعي ، لأنَّ الله قال : فإذا بلغن أجلهن ، ومن المعلوم أنَّ (إن) إنّما يؤتى بها مع المشكوك فيه ، ..... لماذا قال تبارك وتعالى (فإذا بلغن أجلهن) ، وللحق أنّني لم اجد مفسِّراً تعرَّض لهذه النكتة على كثرة ما رجعت إلى عشرات التفاسير كأنَّهم تحاموها لعدم ظهورها ، المعنى غير ظاهر ، لماذا لم يقل الله : فإن بلغن ، ..... لم أجد من تعاني البحث أو الكشف عن سرِّ هذه المخدرة ، هذا المعنى المخدر هنا ، إلاّ الإمام البقاعي في نظم الدرر ، وأتى بشيء لا يعوّل عليه ، قال : وأتى بكلمة التحقيق يريد (إذا) وليس (إن) على تقدير الحياة ، أي أنّها لا تموت وتبقى حيّة ، وتبلغ

أجلها ، وهذا فيه ما فيه ، قول ضعيف جداً ليس فيه أشياء ، ولا يفيد شيئاً ، نوع من توجيه القضيّة منطقيّاً ، وهذا التوجيه هنا لا قيمة له إذا قوبل بمادّة القضيّة ، هذا تعقيد زائد .]] ..

وهنا أقول للأخ الكريم : ألم نثبت ما نذهب إليه بالحجّة والبرهان من كتاب الله تعالى ، مستشهدين بمسائل ، منها الآيتان التاليتان :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٣٤]

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٤٠]

.. ففي الآية الأولى حيث العدّة مفروضة على كلِّ النساء المتوفّى عنهن أزواجهن ، ولا استثناء في ذلك ، ولا بدَّ أن يبلغن جميعاً ودون استثناء نهاية هذه العدّة ، لذلك نرى كلمة ﴿ فَإِذَا ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ دون كلمة (فإن) ..

وفي الآية الثانية حيث السكن والنفقة هي خيار للمرأة المتوفّى عنها زوجها ، قد تأخذ به وقد لا تأخذ ، وبالتالي فجملة النساء المتوفّى عنهنّ أزواجهن ينقسمن إلى قسمين قسم يأخذ بذلك وقسم لا يأخذ ، لذلك نرى أنَّ الله تعالى يصف القسم الذي يخرجن منهن بكلمة ﴿ فَإِنْ ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ﴾ وليس بكلمة (فإذا) ..

.. هذه يا أخي أدلّة قرآنيّة أكبر من قول فلان وقول علاّن ، والمسألة ليست صراعاً بين المهندس عدنان الرفاعي وجماهير الأمّة ، المسألة مسألة تدبّر مجرّد لكتاب الله

تعالى ، ومسألة امتحان من الله تعالى في التزامنا بمنهجه وفي رفضنا لأصنام التاريخ مهما كان شكلها ومهمّا لُبِّست بثياب العاطفة وتغييب العقل ..

.. ويتابع هذا الأخ قائلاً :

[[.. أمّا الذي فتح الله علي ..... كان حقيق بالمهندس الفاضل أن يتساءل لماذا قال الله تعالى : يا أيّها النبي إذا طلقتم النساء ، وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ، لماذا لم يقل في كلِّ ذلك : إن طلقتم ، لأنَّه ليس بالضرورة أنَّ كلَّ مزوَّج ، يعني كلَّ زوج من المؤمنين النبي فمن دونه أن يُطلّق ، إذاً كان ينبغي أن يُقال : إن طلقتم .. انتبهوا !! ..... والجواب لأنَّ هذا الخطاب صحيح أنَّ النبيّ هو الذي نودي به ، يا أيّها النبي إذا طلقتم النساء ، وفي البقرة طبعاً المنادى المؤمنون وليس النبي ، خصّه بالنداء وعمَّ الخطاب ، اعتباراً لترأسه ، وإظهاراً لحيثيّة تقدّمه من حيث كونه قدوة لأمّته ، هذا هو القول ، لكن على كلّ حال ، المراد عموم الأمّة ، لذلك قال : يا أيّها النبي إذا طلقتم ... ولم يقل إذا طلقت ، فعمَّم الأمّة بالخطاب مع أنَّه خصَّه بالنداء .

إذا طلقتم النساء .. صحيح هذه أمّة ، والمخاطب ألوف من الناس ، واليوم ونحن المخاطبون والمخاطب زهاء مليار من البشر فعلى كثرة الأمّة بلا شك ، وإن كان من يطلّق قليلاً في كثرتها ، إلاّ أنّه بالنظر إليه من حيث ذاته كثير ، وكثير جداً ، ألوف من الناس يطلّقون كلّ يوم ، وكلّ ساعة ، فهؤلاء كثيرون ، فحتماً يقع الطلاق في هذه الأمّة ، لذلك ناسب أن يأتي بـــ (إذا) لأنّه حتما واقع .....]] ..

.. أنت يا أخي بذلك تؤكّد صحّة ما نذهب إليه ، فالخطاب في قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ [البقرة : ٢٣١]

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ [البقرة : ٢٣٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [الطلاق : ١]

ليس خطاباً لأفراد وإنّما هو خطاب للأمّة إلى قيام الساعة ، ومسألة الطلاق ستقع حتى قيام الساعة ، ولذلك أتت كلمة ﴿ إِذَا ﴾ دون كلمة (إن) ..

.. وما يجب أن نعلمه هو أنَّ بداية الآية الكريمة بهذه الصيغة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ ، (صيغة النبوّة) ، في الوقت الذي نرى فيه الحكم عامّاً لجملة المؤمنين ﴿ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ ، هو ليس عبثاً ..

.. فأحكام الطلاق المبيّنة في هذه الآية الكريمة – كما نرى – هي أحكام صارمة وبحاجة لصبر من الزوج والزوجة ، وهذا يتطلّب صبراً ونقاءً وخلاصاً لله تعالى وطهارة ، وكنّا قد بيّنا أنَّ صفة النبوّة تعني الخلاص والنقاء والطهارة ... لذلك نرى بداية الآية الكريمة هي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ ، لتؤكّد حاجة المؤمن للنقاء والطهارة والخلاص لله تعالى في تطبيقه لهذه الأحكام الصارمة ..

.. ما أودّ قوله لهذا لأخ ولغيره هو أنَّ التجرّد عن ضغط الموروث أمرٌ لا بدَّ منه لرؤية الدلالات الحق في كتاب الله تعالى ، وأنَّه علينا ألاَّ نغيّب عقولنا نتيجة مقولات تاريخيّة كالإجماع وغير ذلك ، فأنا أدعو هذا الأخ لقراءة الموروث ليرى كيف أنَّ الإجماع أمرٌ لا وجود له إلاَّ على نصٍّ كتاب الله تعالى ، وأدعوه لقراءة النصِّ التالي من كتاب صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، والذي يُبيّنُ لنا هل فِعلُ الصحابي حُجّة .. على الرغم من أنَّ هذا النصّ هو من منظار مذهبي وطائفي واحد ..

[[إذا قال الصحابي قولاً ، أو فعل فعلاً ، فقد قدمنا أنه يسمّى موقوفاً . وهل يحتجّ به ؟ فيه تفصيل واختلاف .. قال أصحابنا : إن لم ينتشر فليس هو إجماعاً . وهل هو حجّة ؟ فيه قولان للشافعي رحمه الله وهما مشهوران ، أصحّهما الجديد أنّه ليس بحجّة ، والثاني وهو القديم أنّه حُجّة ، فإن قلنا هو حجّة قُدم على القياس ، ولزم التابعيَّ وغيرَه العملُ به ، ولم تجز مخالفته .. وهل يخصّ به العموم ؟ فيه وجهان . وإذا قلنا : ليس بحجّة ، فالقياس مقدم عليه ، ويجوز للتابعيّ مخالفته . فأمّا إذا اختلف الصحابة رضي الله عنهم على قولين فإن قلنا بالجديد لم يجز تقليد واحد من الفريقين ، بل يُطلب الدليل . وإن قلنا بالقديم فهما دليلان تعارضا فيرجح أحدهما على الآخر بكثرة العدد . فإن استوى العدد قدم بالأئمّة فيقدم ما عليه إمام منهم على مالا إمام عليه . فإن كان الذي على أحدهما أكثر عدداً ومع الأقل إمام فهما سواء . فإن استويا في العدد والأئمة إلاّ أنّ في

أحدهما أحد الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وفي آخر غيرهما ففيه وجهان لأصحابنا : أحدهما أنهما سواء ، والثاني يقدم ما فيه أحد الشيخين ، هذا كلّه إذا انتشر . أما إذا لم ينتشر فإن خُولف فحكمه ما ذكرناه ، وإن لم يخالف ففيه خمسة أوجه لأصحابنا العراقيين : الأربعة الأولى منها وهي مشهورة في كتبهم في الأصول وفي أوائل كتب الفروع . أحدهما : أنه حجّة وإجماع وهذا الوجه هو الصحيح عندهم . والثاني : أنه حجّة وليس بإجماع . والثالث : إن كان فتوى فقيه فهو حجّة ، وإن كان حكم إمام أو حاكم فليس بحجّة وهو قول أبي علي ابن أبي هريرة . والرابع ضده إن كان فتياً لم يكن حجّة ، وإن كان حاكماً أو إماماً كان إجماعاً . والخامس أنه ليس بإجماع ولا حجّة وهذا الوجه هو المختار عند الغزالي في (المستصفى) . أما إذا قال التابعي قولاً ولم ينتشر ، فليس بحجّة بلا خلاف . وإن انتشر وخولف فليس بحجّة بلا خلاف . وإن انتشر ولم يخالف فظاهر كلام جماهير أصحابنا أن حكمه حكم قول الصحابي المنتشر من غير مخالفة . وحكى بعض أصحابنا فيه وجهين : أصحّهما هذا ، والثاني ليس بحجّة . قال صاحب (الشامل) من أصحابنا : الصحيح أنه يكون إجماعاً وهذا هو الأفقه ، ولا فرق في هذا بين الصحابي والتابعي .....]]

.. أدعو هذا الأخ وغيره للنظر في الروايات التالية ليعلم أنَّ رفع رجالات التاريخ إلى مستوى الأصنام التي لا يجوز تجاوزها في تدبّرنا لكتاب الله تعالى ، هو أمرٌ يبعدنا عن حقيقة كتاب الله تعالى ..

البخاري (٣٧٢٠) :

وَعَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ وَقَالَ اللَّيْثُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ **وَقَعَتْ الْفِتْنَةُ الْأُولَى يَعْنِي مَقْتَلَ عُثْمَانَ فَلَمْ تُبْقِ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ أَحَداً ثُمَّ وَقَعَتْ الْفِتْنَةُ الثَّانِيَةُ يَعْنِي الْحَرَّةَ فَلَمْ تُبْقِ مِنْ أَصْحَابِ الْحُدَيْبِيَةِ أَحَداً ثُمَّ وَقَعَتْ الثَّالِثَةُ فَلَمْ تَرْتَفِعْ وَلِلنَّاسِ طَبَاخٌ**

البخاري (٤١٥٣) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَتَاهُ رَجُلَانِ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَا إِنَّ النَّاسَ صَنَعُوا وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ وَصَاحِبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ فَقَالَ يَمْنَعُنِي أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ دَمَ أَخِي فَقَالَا أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَقَالَ قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللَّهِ .....

البخاري (٤٢٨٤) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا بَيَانٌ أَنَّ وَبَرَةَ حَدَّثَهُ قَالَ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا أَوْ إِلَيْنَا ابْنُ عُمَرَ فَقَالَ رَجُلٌ كَيْفَ تَرَى فِي قِتَالِ الْفِتْنَةِ فَقَالَ وَهَلْ تَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ الدُّخُولُ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً وَلَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى الْمُلْكِ

البخاري (٦٥٨٠) :

حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ وَاصِلٍ الْأَحْدَبِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ الْيَوْمَ شَرٌّ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَوْمَئِذٍ يُسِرُّونَ وَالْيَوْمَ يَجْهَرُونَ

البخاري (٦٥٨١) :

حَدَّثَنَا خَلَّادٌ حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ إِنَّمَا كَانَ النِّفَاقُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَإِنَّمَا هُوَ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ

.. أدعو هذا الأخ لقراءة الروايات التالية ليعلم أنَّ حرفاً من كتاب الله تعالى لا تعدله كلّ الروايات :

البخاري (٤٦٠٦) :

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ الْبَرَاءِ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ادْعُ لِي زَيْدًا وَلْيَجِئْ بِاللَّوْحِ وَالدَّوَاةِ وَالْكَتِفِ أَوْ الْكَتِفِ وَالدَّوَاةِ ثُمَّ قَالَ اكْتُبْ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ وَخَلْفَ ظَهْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى قَالَ يَا رَسُولَ

اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنِي فَإِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرُ الْبَصَرِ فَنَزَلَتْ مَكَانَهَا لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ

البخاري (٤٢٢٧) :

حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْداً فَكَتَبَهَا فَجَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَشَكَا ضَرَارَتَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ

أحمد (٢٥١١٢) :

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ لَقَدْ أُنْزِلَتْ آيَةُ الرَّجْمِ وَرَضَعَاتُ الْكَبِيرِ عَشْراً فَكَانَتْ فِي وَرَقَةٍ تَحْتَ سَرِيرِ فِي بَيْتِي فَلَمَّا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشَاغَلْنَا بِأَمْرِهِ وَدَخَلَتْ دُوَيْبَةٌ لَنَا فَأَكَلَتْهَا

مسلم (٤٩٧٥) :

حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُتَّهَمُ بِأُمِّ وَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ اذْهَبْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ فَأَتَاهُ عَلِيٌّ فَإِذَا هُوَ فِي رَكِيٍّ يَتَبَرَّدُ فِيهَا فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ اخْرُجْ فَنَاوَلَهُ يَدَهُ فَأَخْرَجَهُ فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ فَكَفَّ عَلِيٌّ عَنْهُ ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَمَجْبُوبٌ مَا لَهُ ذَكَرٌ

البخاري (١٧٩٢) :

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ الْحَكَمِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لِإِرْبِهِ وَقَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَآرِبُ حَاجَةٌ قَالَ طَاوُسٌ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ الْأَحْمَقُ لَا حَاجَةَ لَهُ فِي النِّسَاءِ

مسلم (١٨٥٤) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا و قَالَ الْآخَرَانِ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ الْأَسْوَدِ وَعَلْقَمَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ح و حَدَّثَنَا شُجَاعُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي زَائِدَةَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ مُسْلِمٍ عَنْ مَسْرُوقٍ **عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ وَهُوَ صَائِمٌ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ وَلَكِنَّهُ أَمْلَكُكُمْ لِإِرْبِهِ**

البخاري (٢٩١) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ خَلِيلٍ قَالَ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ هُوَ الشَّيْبَانِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ **عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَتْ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَاشِرَهَا أَمَرَهَا أَنْ تَتَّزِرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا ثُمَّ يُبَاشِرُهَا قَالَتْ وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْلِكُ إِرْبَهُ** تَابَعَهُ خَالِدٌ وَجَرِيرٌ عَنْ الشَّيْبَانِيِّ

مسلم (٤٤١) :

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنْ الشَّيْبَانِيِّ ح و حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَقَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ **عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا أَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَأْتَزِرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا ثُمَّ يُبَاشِرُهَا قَالَتْ وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْلِكُ إِرْبَهُ**

مسلم (٢٤٩١) :

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً فَأَتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ**

حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا حَرْبُ بْنُ أَبِي الْعَالِيَةِ حَدَّثَنَا

أَبُو الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً فَذَكَرَ بِمِثْلِهِ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فَأَتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً وَلَمْ يَذْكُرْ تُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ

البخاري (٣١٤٧) :

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُعْفِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزْ اللَّحْمُ وَلَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ

البخاري (٢٧٠٠) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ **تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ** وَقَالَ يَعْلَى حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ دِرْعٌ مِنْ حَدِيدٍ وَقَالَ مُعَلًّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ وَقَالَ رَهَنَهُ دِرْعًا مِنْ حَدِيدٍ

.. أخي الكريم .. ما يجب أن تعلمه أنَّ الأمر ليس بيني وبينك ، الأمر بيننا وبين الله تعالى ، الأمر هو في النهاية امتحان لنا جميعاً سنحاسب على نتيجته في الآخرة ..

.. ووجدت على النت مقطعاً بالصوت من أحدهم ، لم يذكر اسمه ، ولا حتى صورته ، والرد هو مجرّد صوت .. وعندما استمعت إليه وجدت صاحبه يخلط بمنتهى الجهالة ، ويفتري علينا ، إضافة إلى أسلوبه البعيد عن الأدب والأخلاق .. لذلك رأيت من المفيد أن أرد على هذا الذي لم يذكر اسمه لأبيّن للناس كيف أنَّ الافتراء والتدليس والتهريج هو ديدن هذا المدعو وأمثاله ..

يقول هذا المدعو في افترائه علينا :

[[لن أُعلِّق على سوء أدبه ..... لكن الجديد أنني علمت أنَّ النبي ﷺ داخلٌ في ذلك القدح ، لّما يسأله مقدِّم البرنامج أنَّ ملك اليمين كان أمراً واقعاً في حياة النبي والصحابة ، فيرد أنَّهم كانوا يطبّقون الأحكام الجاهلية في بعض المواقف ، حتى ينزل النص ، فليقل متى نزلت أوَّل آية فيها ملك يمين ، وأختها فسّرها النبي لأصحابه على أنَّها الكتابيّات ، عندما يقول الحقيقة القرآنيّة التي غيّبت أربعة عشر قرناً ، فطبعاً الذي

يتحمّل ضلال الأمّة كلّ هذه المدّة هو النبيّ ﷺ ، لأنّه لم يفسِّر لنا أنَّ ملك اليمين يُـــراد به الزواج من الكتابيّات ، وأخفى هذه الحقيقة القرآنيّة ، وإمّا أن يعتقد عدنان أنَّه علم مُراد الله في كتابه في حين لم يعلم ذلك رسوله ﷺ]] ..

.. وأردّ على ذلك فأقول : سوء أدب هذا المدعو وأمثاله هو أوّلاً مع الله تعـــالى ، وثانياً مع نبيّه ﷺ ، وبعد ذلك معنا ومع الناس .. فالكذب على الله تعالى وعلى منهجه هو مسألة ليست أفضل حالاً حتى من الكفر بآيات الله تعالى ..

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَـذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٨]

.. فافتراء الكذب على الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَـذِبًا ﴾ نراه يتقدّم – على سلّم الظلم – حتى على التكذيب بالحق ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ﴾ .. فافتراء الكذب على الله تعالى عبر التلبيس على منهج الله تعالى هو إضلالٌ للأمّة بأسرها فضلاً عن كونه إضلالاً للنفس .. وهذا ما سنراه عند المدعو الذي يحسب نفسه راداً علينا ..

.. فهذا المدعو يذرّ الرماد في أعين الجهلة الذين اقتنعوا معه أنَّ العقل عدوّهم الأوَّل ، فيقول إنَّ قولنا : إنَّ نزول التشريع من السماء – في الجيل الأوّل – كان على مراحل (على مدار – ٢٣ – سنة) ، ولم يكن دفعة واحدة من السماء ، وبالتالي فإنَّ أفعال الجيل الأوَّل كان جزءٌ منها موافقة لأهل الكتاب أو لأعراف اجتماعيّة ريثما يترل النصّ القرآني ، يقول عن ذلك بأنَّه سوء أدب مع النبي ﷺ .. وهذا قمّة الجهل ليس فقط بما نقول وإنّما أيضاً بما يخرج من فمه هو .. فهل سمع هذا المدعو بالحديث التالي :

البخاري (٥٤٦٢) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْـدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْـلِ

الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ أَشْعَارَهُمْ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ فَسَدَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاصِيَتَهُ ثُمَّ فَرَقَ بَعْدُ

مسلم (٤٣٠٧) :

حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ مَنْصُورٌ حَدَّثَنَا و قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ يَعْنِيَانِ ابْنَ سَعْدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ أَشْعَارَهُمْ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ **وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ** فَسَدَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاصِيَتَهُ ثُمَّ فَرَقَ بَعْدُ و حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ بِهَذَا الْإِسْنَادِ نَحْوَهُ

مسند أحمد (٢٧٩٠) :

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا يُونُسُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْدِلُ شَعَرَهُ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ **وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ** فَفَرَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ

.. فكيف سيفهم هذا المدعو وأمثاله أنَّ تفاعل النبيّ ﷺ فيما تعرَّض له من أمورٍ وأحداث قبل نزول النصّ القرآني المناسب ، كان إمّا موافقة أهل الكتاب ، أو مجاراة الأحكام السائدة ، أو الاجتهاد كبشر بعيداً عن منهج الرسالة ، وذلك حتى يترلَ الحكمُ القرآنيُّ الخاصُّ بتلك الأعمال .. وبالتالي ليس كلّ ما تمّ فعله هو وفق نصٍّ نازلٍ من السماء ، لأنَّ القرآن الكريم لم يترل دفعة واحدة من السماء ..

.. وكيف نستطيع أن نُفْهِم هذا المدعو وأمثالَه أنَّ ذلك يتجلّى في كتاب الله تعالى عبر تعلّق أمر الطاعة بصفة الرسالة دون غيرها .. فالله تعالى لم يقل ولا مرّة أطيعوا النبي ، أو أطيعوا محمّداً ، لأنَّ ما فعله ﷺ كشخص وكنبي هو ليس من التشريع ، وما هو من التشريع هو ما فعله ﷺ كرسول ... وها هي جميع النصوص القرآنيّة الحاملة لأمر الطاعة الخاص بذلك في كتاب الله تعالى ..

﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ ﴾ [آل عمران : ٣٢]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [آل عمران : ١٣٢]

﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء : ٥٩]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [المائدة : ٩٢]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [الأنفال : ١]

﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأنفال : ٢٠]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأنفال : ٤٦]

﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ ﴾ [النور : ٥٤]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النور : ٥٦]

﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [محمد : ٣٣]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ ﴾ [المجادلة: ١٣]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ ﴾ [التغابن : ١٢]

.. إذاً .. مَنْ الجاهل الذي يكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ وبعد ذلك علينا ؟!!! .. لا نريد من هذا المدعو وأمثاله إجابة ، الإجابة نريدها من الباحثين عن الحقيقة الذين يؤمنون أنَّ العقل المجرّد عن أصنام التاريخ الذي يقدّسها هذا المدعو وأمثاله ، أنَّ هذا العقل ينجي – في الآخرة – من السعير ..

﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١٠]

فكلمة ﴿ أَوۡ ﴾ بين السماع والتعقّل دون العطف بالحرف (وَ) ليس عبثاً ، إلاَّ إذا قال لنا هذا المدعو وأمثاله بأنَّ كلمة ﴿ أَوۡ ﴾ لا تعني ذلك وكان من المفروض أن تكون حرف العطف (وَ) كما سنرى في مسألة أُخرى بعد قليل ..

.. ومتى قلت أنا في كتبي أو في البرنامج بأنَّ ملك اليمين لا يعني إلاَّ الكتابيّات ؟!!! .. لقد بيّنت هذه المسألة بشكلٍ جليٍ في النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة) ، وفي كتاب المعجزة الكبرى (الطبعة الأخيرة) ، وفيما يلي اقتبس نصّاً بسيطاً من النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة) ليرى العالم أنَّ هؤلاء يتكلّمون دون أن يعوا هم ما يخرج من أفواههم ، وأنَّ التلبيس على البسطاء هو منهجهم الذي لا يستطيعون الانفكاك عنه :

[[(١٠) – بما أنّ عبارات ملك اليمين في كتاب الله تعالى ترد بصيغ فعليّة وبالفعل الماضي حصراً [[﴿ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ ، ﴿ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ ، ﴿ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ ﴾ ، ﴿ مَلَكَتۡ يَمِينُكَ ﴾]] ، فإنَّ دلالاتها تتعلّق بالسياق القرآني المحيط بها .. فعندما يقول أحدنا : أكلت ، فهذا لا يعطينا أيَّ دلالة عن ماهيّة المأكول ، ولا ترتسم في ذهننا أيّة صورة عن المأكول ، ولا بدّ أن يقرن كلمته هذه بسياقٍ محيط يبيّن ماهيّة المأكول ، كأن يقول أكلت خبزاً ، أو لحماً ، أو ..... بينما لو قال كلمة كأس أو بيت أو أيّ اسم ، عندها سترتسم في ذهننا صورة الشيء الذي تصفه هذه الكلمة ..

.. وفي هذا دليلٌ على أنّ هذه المسألةَ (مسألة ملك اليمين) لا تصفُ جنساً مُحدَّداً من البشر ، إنّما تصفُ حالات اجتماعيّةً طارئةً قد يقعُ في ساحتِها أيُّ إنسان ، ويخرجُ من ساحتِها أيُّ إنسان ، فلو كانت مسألةً تصفُ جنساً من الناس يتصفون بها بشكلٍ مُستمرٍّ ، لأتت عباراتُ ملكِ اليمينِ في القرآن الكريم بالصيغةِ الاسميّة ، أو على الأقل بصيغةِ الفعل المضارع ..

.. إذاً .. في كلِّ نصٍّ قرآنيٍّ ترد فيه إحدى صيغ عبارات ملك اليمين ، لا بدَّ أن ننظر في السياق القرآني المحيط بهذه الصيغة ، لاستنباط المعنى الذي تتعلّق به هذه الصيغة من عبارات ملك اليمين .. حين ذلك نكون قد سرنا في الطريق السليم الذي لا بدّ من سلوكه لفهم حقيقة دلالات كتاب الله تعالى ..]] ..

.. وبالتالي فقول هذا المدعو [[عندما يقول الحقيقة القرآنيّة التي غيّبت أربعة عشر قرناً ، فطبعاً الذي يتحمّل ضلال الأمّة كلّ هذه المدّة هو النبيّ ﷺ ، لأنّه لم يفسِّر لنا أنَّ ملك اليمين يُراد به الزواج من الكتابيّات]] هو تهريج لا يدرك هو معناه ، وسفسطة لا

تستحق حتى الردّ عليها .. وأدعو كلَّ باحث عن الحقيقة ليقرأ هذه المسألة في كتبي ليعلم حجم الكذب والافتراء والتدليس الذي يقوم به هؤلاء ..

.. وما أريد أن أسأله أنا لهؤلاء : أين تذهب كرامتكم ويذهب شرفكم وغيرتكم على الإسلام حينما تقرؤون أحكام العبيد وملك اليمين في الموروث وتدافعون عنها ؟!!! .. أين دفاعكم عن الحق والعدل وكرامة الإنسان التي أتى القرآن الكريم للحفاظ عليها حينما تقولون تُسبى النساء في الحروب ، ويتحوّلن إلى ملك يمين يتمّ وطؤهنّ دون عقد نكاح على الرغم من أنوفهن ، حتى المتزوّجات منهنّ ، ويتمّ بيعهنّ وشراؤهنّ كالحيوانات ، وباستطاعة مالكهنّ أن يبيع وطأهنَّ لغيره ، مع بقاء خدْمَتهُنَّ للمالك ، وما يلِدن من غير المالك هم عبيدٌ للمالك ، ذكوراً كانوا أم إناثاً ..

.. أين تذهب كرامتكم وشرفكم وغيرتكم على منهج الله تعالى حينما تقرّون تشريعات خاصّةً بهذه المسألة ، بحيث يستطيع الرجل أن يطأ العدد الذي يريد من النساء تحت مظلة ملك اليمين ، وبحيث يخرج من يزني بملك يمين عن أحكام الزنا التي شرعها الله تعالى في كتابه الكريم ، وبحيث يُستثنى مُلك اليمين من الأحكام التي يحملها القرآن الكريم ..

.. أين تذهب كرامتكم وشرفكم وغيرتكم على منهج الله تعالى حينما تقرّون تشريعات يُؤسَر بها الرجال ويتحوّلون إلى عبيد لا يحقّ لهم تملّك أيّ شيء ، ويباعون كالحيوانات ، بحيث تُخرج هذه التشريعات العبيد من إطار الكرامة الإنسانيّة ..

أين تذهب كرامتكم وشرفكم وغيرتكم على منهج الله تعالى حينما تقرّون تشريعات تقول : إنَّ دخول هؤلاء المملوكين (ذكوراً كانوا أم إناثاً) في الدين الإسلامي بعد سبيهم ، لا يُخرجهم من إطار الانصياع للأحكام الظالمة ، التي تمّ تلبيسها وافتراؤها على منهج الله تعالى .. فحتّى الدين الإسلامي ذاته – حسب التشريعات الوضعيّة الخاصّة بالعبيد وملك اليمين – لا يحمي أعراضهم ، ولا يصون كرامتهم ، ولا يحفظ أموالهم ..

.. لا نريد إجابة من هؤلاء .. ففاقد الشيء لا يعطيه ، ويدَّعيه ..

.. ويتابع هذا المدعو قائلاً :

[[ولنبدأ بقوله تعالى : هم وأزواجهم في ظلال على الآرائك متكئون ، وقوله : احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ، فالأزواج هنا تعني النظراء ، والأشباه ، وهذا ما ذهب إليه عمر وابن عبّاس وغيرهما ، وقد جاء في القرآن على هذا النحو مثل قوله : من كلِّ زوجٍ بهيج ، فلا تقتصر على الزواج المعروف ، والله قد يأتي في القرآن على أكثر من معنى ، فكونه جعل الآية تعني الزواج بين الرجل والمرأة ، ثمَّ اتّخذها قاعدة ليبني عليها ما يريده من العبث ، دليلٌ على منهجه الانتقائي الواضح ، وكيف سيتصرّف عدنان في هذه الفرضيّة ، إذا قلنا إنَّ الزوج تقيٌ وورع ممن يدخل الجنّة بغير حساب ، والزوجة فاسقة عاصية عليها أن تُعذّب بالنار قبل أن تدخل الجنّة ، وكلاهما مسلم ، فعلى المذهب العدناني لا بدَّ للزوج والزوجة أن يدخلا الجنّة معاً أو النار معاً ، وكما لم يعبّر الله عن امرأة نوح ولوط بالزوجة لم يعبّر بالزوجة عن امرأة إبراهيم وعمران وعزيز مصر ، مع وجود التناظر والتشابه في العقيدة ، وليقل لنا ذلك العدنان ماذا سنفعل في الآيات الآتية ، الأولى : وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ، إذاً الآية هنا للمسلمات فقط ، فما الحكم البديل في الكتابيّات ، والذي لم يبيّنه الله في كتابه ، الثانية : لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ، فإذا كنّ كتابيّات فهل يتغيّر الحكم يا عدنان ؟ ، والأدهى من ذلك قوله تعالى لنبيّه ﷺ : لا يحلُّ لك النساء من بعد ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلاَّ ما ملكت يمينك ، فالآية تحرِّم على النبيّ الزواج من أُخريات ، ولو طلّق نساءه ، واستثنى من ذلك ملك اليمين ، فكيف من الممكن المراد الزواج من الكتابيّات]] ..

.. هذا التهريج دليلٌ على أنَّ هذا المدعو لا يعلم شيئاً عمّا قلناه في هذا الباب ولا في غيره ، فمتى قلنا بأنَّ الزوجيّة في كتاب الله تعالى لا تعني إلاّ العلاقة بين الرجل والمرأة ؟!!! ، متى قلنا ذلك ؟!!! .. لننظر في النصِّ التالي الذي أقتبسه بحرفيّته من النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة) لنرى كيف أنَّ كلام هذا المدعو هو تلبيس على

الحقيقة ، فالآيات الكريمة التي احتجّ بها ، قمنا بعرضها ضمن سياقٍ آخر يختلف عـــن التلبيس الذي يلبّسه هذا المدعو وأمثاله :

[[(١٨) – في كتاب الله تعالى هناك حقيقة تمّ تغييبها خلال التاريخ ، وهي أنّ عقدَ النكاحِ في القرآنِ الكريمِ يتكوّنُ من نوعين اثنين :

- النوع الأوّل .. يتّصف بالزوجيّة ، أي بالتماثل في العقيدة بين طرفيِّ عقدِ النكاح ، أي أنّ الرجلَ زوجٌ للمرأة (بمعنى أنّه مُماثلٌ لها في العقيدة) ، وأنّ المرأةَ زوجٌ للرجل (بمعنى أنّها مُماثلةٌ له في العقيدة) .. وحين ذلك تُسمّى المرأةُ زوجَ الرجل ، وتُسمّى امرأتَهُ في الوقت ذاته ، كامرأة إبراهيم وامرأة زكريّا عليهما السلام .. فصفةُ الزوجيّةِ لا تُلغي كونَ الزوجةِ امرأةً لزوجها .. وكلُّ ذلك من منظار الاقتران بعقد نكاح ، فكلمةُ زوج – في القرآن الكريم – دلالاتُها واسعةٌ تتجاوزُ الساحةَ التي تُلقي الضوءَ عليها ..

- النوع الثاني .. لا يتّصفُ بالزوجيّة ، وبالتالي يتّصف بعدمِ التماثلِ في العقيدة بين طرفي عقد النكاح ، وحين ذلك لا تُسمّى المرأةُ زوجَ الرجل ، إنّما تُسمّى امرأتَه فقط .. وذلك – أيضاً – من منظارِ الاقترانِ بعقدِ نكاح .. وحين ذلك يُسمّى هذا العقدُ – من هذا المنظار – عقْدَ نكاحِ مُلكِ يمين ، بمعنى أنّهُ عَقْدُ نكاحٍ لِمُلْكِ الوطء ، دونَ تحقّقِ الزوجيّةِ من تناظرٍ وتماثلٍ في العقيدة ..

.. ومثال ذلك ، امرأةُ نوحٍ وامرأةُ لوطٍ عليهما السلام ، وامرأةُ فرعون ..

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٍ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾]

التحريم : ١٠ – ١١]

.. اللهُ تعالى يقول ﴿ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ ﴾ ويقول جـــلّ وعـــلا ﴿ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ ﴾ ، ولم يقل (زوجةَ نُوحٍ وزوجةَ لُوطٍ) ، ولم يقل (زوجةَ فِرْعَوْنَ) .. إذاً .. ورودُ كلمةِ زوجة يُشيرُ إلى التماثل في العقيدة ، بينما ورودُ كلمةِ امرأة ليس دليلاً على عدم التماثل في العقيدة ، أو على التماثل ..

وتتجلّى هذه الحقيقة أمامَ أعيننا ، حينما ننظرُ بعمقٍ إلى النصوصِ القرآنيّة التالية ..

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ ﴾ [الرعد : ٢٣]

﴿ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ [يـــس : ٥٦]

﴿ ۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٢٢ – ٢٣]

﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٠]

.. وهذان النوعان لعقدِ النكاح ، نراهما بشكلٍ جليٍّ في النصِّ القرآنيِّ التالي ..

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥ – ٧]

.. فعطفُ مُلكِ اليمين على الأزواجِ في هذا النصِّ ، هو عَطْفٌ لنوعيِّ عَقْدِ النكاح ، من منظارِ التماثلِ في العقيدةِ وعدمِه بين طرفي هذا العقد ..

.. وَعَقْدُ مُلْكِ الوطء الذي يُسمّى عقدَ مُلْكِ يمينٍ كما قُلنا ، رأيناه يتجلّى في الآية التالية ، حيث يأمرُ اللهُ تعالى بالابتعادِ عنه ، إلاّ عندَ الضرورة ، وضمنَ شروط ..

﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ

ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾

.. إذاً .. النصُّ القرآني ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾ ، يُلقي الضوء على نوعي عقد النكاح الشرعي الذي على المؤمن ألاَّ يبتغي وراءهما .. وهما – كما قُلنا – عقدُ زوجيّة ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ ﴾ ، حين وجودِ التناظرِ في العقيدة ، وعقد مُلكِ يمين ﴿ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ ، حين عدم وجودِ هذا التناظر ..

.. وممّا يُؤكّدُ حقيقةَ ما نذهبُ إليه في بياننا لهذا النوعِ من مسألة مُلكِ اليمين ، وبأنّ خيارَ نَكْحِ الكتابية مشروطٌ بشروط أهمُّها عدمُ الاستطاعة من تناولِ نكحِ المُسلمة ، ممّا يُؤكّدُ ذلك ، هو العطف بكلمة ﴿ أَو ﴾ دون العطف بالحرف (وَ) في العبارة القرآنيّة ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ ..

.. ولو كان الأمرُ كما فُسِّرَ تاريخيّاً ، وبأنّه تُنكَحُ العبدةُ دونَ أيِّ شرطٍ وذلك بجمعها مع الحرّة كما زُعم ، لو كان الأمرُ كذلك لتمَّ العطفُ بين الأزواجِ وهذا النوعِ من مُلك اليمين بالحرف (وَ) وليس بالكلمة ﴿ أَو ﴾ .. أي لأتتْ هذه العبارة القرآنيّة على الشكل : (إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) ..

.. ولذلك نرى أنّه حين عطفِ مُلكِ اليمين على الأزواجِ من زاوية التعلّقِ بعلمِ الله تعالى ، وليس من زاويةِ تحديدِ نوعي عقدِ النكاح ، نرى أنّ العطفَ يكونُ بالحرف ﴿ وَ ﴾ الذي يُفيدُ الجمع ، وليس بالكلمة (أو) التي تُفيد التخيير .. فعلمُ الله تعالى يُحيطُ إحاطةً مُطلقة بكلِّ شيء .. ﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] ..]] ..

.. من هنا نرى السفسطة وقلّة الإدراك لما نقول حينما نسمع قول هذا المدعو : [[وكما لم يعبّر الله عن امرأة نوح ولوط بالزوجة لم يعبّر بالزوجة عن امرأة إبراهيم وعمران وعزيز مصر ، مع وجود التناظر والتشابه في العقيدة]] فهل اطّلع هذا المدعو على قولنا :

[[إذاً .. ورودُ كلمة زوجة يُشيرُ إلى التماثل في العقيدة ، بينما ورودُ كلمة امرأة ليس دليلاً على عدم التماثل في العقيدة ، أو على التماثل ..]] ..

.. إذاً .. كلُّ هذه السفسطة وهذا التهريج الذي نسمعه من هذا المدعو وأمثاله مبنيّ على مقدّمات فاسدة مفادها عدم إدراك هذا المدعو لما نقول ..

.. ثمّ يتابع قائلاً :

[[ولنأت للآية التي حاول جاهداً تحريفها ، قوله تعالى : فمن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات الله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض ، قال إنَّ ملك اليمين يعني به الزواج من الكتابيّات ، طيّب وما تفسيره للآية : والذين يبتغون الكتاب ممّا ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصّناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا فأيُّ عاقلٍ يقول أنَّ المراد هنا الزواج من كتابيّة ؟ ، وهل الله في حاجة أن يذكّر الناس بأن لا يكرهوا أزواجهن على الزنا ، الذي هو البغاء ، ثمَّ قال : فتياتكم تعني من في خدمتكم وتحت إشرافكم ، فهل يجب علي إذا تزوّجت من كتابيّة أن تكون تحت إشرافي وخدمتي ، ولننظر إلى استخدام اللفظة في القرآن والتي لم يتطرَّق إليها لأنَّها لا تخدم توجّهه ، أمر يوسف عليه السلام خدمه لما ولي أمر مصر فقال : وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلّهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم ، موسى لفتاه فقد كان الفتى في خدمة موسى عليه السلام ويقال بأنَّه كان يوشع بن نون ، ثمَّ قول النبي ﷺ في الحديث : لا يقل أحدكم عبدي وأمتي بل يقل فتاي وفتاتي ، فهذا دليل على أنَّ فتاتي أو فتياتكم تستخدم بمعنى سرائركم ، أو إمائكم]] ..

.. وأنا لن أقف عند خطئه بلفظ بعض الكلمات في آيات كتاب الله تعالى ، فكل ابن آدم خطّاء ، وأنا ألتمس له عذرا بأنَّ الأفكار تزاحمت في ذهنه فتلعثم ، ولا يوجد من البشر من لا يُخطئ .. ولكنّني أقول .. هذه السفسطة نعلم حقيقة سقوطها حينما نقرأ النص التالي من النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة) :

[[– العبارةُ القرآنيّة ﴿ مِّن فَتَيَاتِكُمُ ﴾ تعني : من اللاتي يتحرّكن ويسعينَ تحت

علْمِكُم ورؤيتكم وإشرافكم ، بحيث تَقفُون على حقيقتهن .. فكلمةُ ﴿ فَتًى ﴾ – في القرآن الكريم – تعني الساعي والمتحرّكَ في مسألةٍ ما ..

﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء : ٦٠]

.. فإبراهيم عليه السلام ، ليس عبداً لأحد من البشر ، إنّما هو متحرّكٌ وساعٍ في سبيلِ البحثِ عن الحقيقة ..

.. والفتيةُ المذكورون في سورةِ الكهف ، إنّما وُصفوا بهذه الكلمة ، لأنّم سَعَوا وتحرّكوا في سبيلِ البحثِ عن الحقيقة ..

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف : ١٣]

.. وحينما تُضافُ كلمةُ فتى التي تصف إنساناً ما ، إلى إنسانٍ آخر ، فإنّها تعني الساعي والمتحرّكَ تحت علْمِ هذا الآخر وإشرافه ..

﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف : ٣٠]

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يوسف : ٦٢]

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف : ٦٢]

.. وعلى هذا .. فالعبارةُ القرآنيّة ﴿ مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ﴾ ، في المسألةِ التي نحن بصدد دراستها تعني : من اللاتي يتحرّكن في المجتمعِ تحت علمِكُم ومشاهدتكُم ، وبحيث تعرفون أخلاقَهُنّ وحقيقتَهُنّ من خلالِ علْمِكُم بسعيهنّ تحت إشرافكُم ورؤيتِكُم لهنّ .. وهنّ المحصناتُ من الذين أوتوا الكتاب : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ ،

اللاتي أباحَ اللهُ تعالى الارتباطَ معهنّ بعقد نكاحٍ شرعي ، فما أباحه الله تعالى للمسلمين – إضافة للمسلمات – هو فقط نساء الذين أوتوا الكتاب ..

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [المائدة : ٥]]] ..

.. وندرك أكثر حقيقة السفسطة التي نسمعها من هذا المدعو وأمثاله وحقيقة عدم امتلاكهم للإرادة الصادقة لحقيقة ما نقول ، حينما نقرأ النصّ التالي من النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة) :

[[(١٢) – من عبارات ملك اليمين ما يأتي ضمن سياقٍ قرآنيٍّ يصف بعض البشر الذين ينقصهم تعلّم حرفة ، وتنقصهم قدرة على الكسب ، وينقصهم الخير من صلاحٍ ورشدٍ ووعي .. ومهمّة مالكه هي الأخذ بيده ومساعدته حتى يعلم فيه خيراً ، ومتى علم فيه خيراً وأراد المملوك الخروج من تحت هذه الولاية ، وجب على المالك تركه ومساعدته مادّيّاً لكي يشقَّ طريقه في الحياة كباقي البشر الخيّرين .. والصورة القرآنيّة التالية تبيّن هذه الحقيقة بشكلٍ واضح جليٍّ لا لبس فيه ..

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ ﴾ [النور : ٣٣]

لقد ذهب المفسّرون إلى أنَّ الكتاب الذي يبتغيه مملوك ملك اليمين في هذه الآيــة الكريمة هو التحرير ، حسب تعريفهم هم لمسألة العبيد وملك اليمين ، بمعنى : علمــتم لهم قدرةً وقوّةً على الكسب من أجل دفعِ ما تمّتْ المُكاتبةُ عليه .. ولو نظرنا نظرة تدبّر في هذه الصورة القرآنيّة لرأينا أنَّ الله تعالى يأمر بخروجِ المملوكِ بالولايةِ والوصايةِ مــن تلك الولاية ، بعد بلوغه مرحلة إدارةِ شؤونه بنفسه ، واعتمادِه على ذاته ، وأن يأتيــه من مال الله تعالى الذي آتاه للمالك ، شريطةَ أن يعلمَ المالك في المملوك خيراً ..

والخير الذي يعلمه المالك في مملوكه ليس المالَ المطلوب من المملــوك أن يعطيــه للمالك بغية التحرير من الرق كما ذهبوا ، إنّما هو الصلاح والرشد والوعي والقدرة

على إدارة شؤونه بنفسه من كسبٍ وغير ذلك .. فلو كان المقصود هو المال الذي ينبغي للملوك أن يكتسبه بعمله عند الآخرين ليعطيه للمالك ثمن نفسه كما زُعم ، لناسب ذلك ورود العبارة (إن علمتم لهم خيراً) ، فقوله تعالى ﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ ينفي نفياً قاطعاً كون الخير هو المال المطلوب من المملوك للمالك كما زعموا ، فالمال المُعطى هو من مال الله تعالى الذي آتاه للمالك بعيداً عن قضيّة المملوك ، هكذا تنطق كلمات الله تعالى ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ ، وبالتالي لا منّة للمالك على المملوك .. فمسألة ملك اليمين ليست مسألة استرقاق جبري قهري ، إنّما هي مسألة عملٍ إنساني يُؤجر فاعله (المالك) لأنّه يبذل جهداً معنويّاً تربويّاً وقدراً ماليّاً ، في سبيل زرع الخير للملوك .....

إذاً .. الخيرُ الذي يُريدُ اللهُ تعالى منّا أنْ نعلمَه في هؤلاء ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ هو الرشدُ والصلاح والاعتمادُ على الذات ، وليس الاعتداءَ على حريّاتِهم وجهدِهم ومستقبلِهم ، وهذا ممّا كرّمَ اللهُ تعالى به بني آدم ، فأيُّ كرامةٍ لبني آدم يُمكنُنا أنْ نتصوَّرَها حينما يكونُ جهدُهُ ومستقبلُهُ وكرامتُهُ وحريّتُهُ بيدِ الآخرين ؟!! ..]] ..

.. فهل من ذنبنا أنَّ هؤلاء لا يدركون ما نقول ؟ ، وهل من ذنبنا أنَّ هؤلاء لا تُوجد عندهم إرادة صادقة لمعرفة الحقيقة ؟ ، وهل من ذنبنا أنَّ هؤلاء يُحرِّفون الكلم عن مواضعه ، ومن بعد مواضعه ؟ .. فقول هذا المدعو [[فهل يجب علي إذا تزوّجت من كتابيّة أن تكون تحت إشرافي وخدمتي]] دليلٌ على عدم إدراكه لدلالات كتاب الله تعالى ، وبعد ذلك هو دليلٌ على عدم إدراكه لقولنا .. فالوقوع تحت الإشراف والعلم هنا عنينا به علم المتزوّج بأخلاق الكتابيّة ونقائها وطهارتها ، وهذا ما بيّناه ..

.. ولننظر إلى النصِّ التالي من النظريّة السادسة (سلّم الخلاص) لنرى الفارق بين ما نقول من جهة وبين ما يُلبِّس المهرّجون علينا من جهةٍ أُخرى ..

[[.. وقد حذّر القرآن الكريم من إكراه المرأة على ما لا تريد ، ما دام ما تريـــده ضمن إطار شرعِ الله تعالى ، وأنّ ذلك بغيٌ وتجاوزٌ للحدود .. فإن هي أرادت إحصان الزواج واختارته لا تمنع عنه ، وإن هي أرادت إحصان العفّة والطهارة ، أيضاً لا تمنـــع عنه ، فكلُّ منعٍ لها – في هذين الجانبين – هو بغيٌ وتجاوزٌ للحدود ..

.. وفي الصورة القرآنيّة ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٣٣] ، في هذه المسألة قالوا : المعني بكلمة ﴿ ٱلْبِغَآءِ ﴾ هو الزنا حصراً ، بحيث يكون تقدير هذه الصورة القرآنيّة – حسب ما ذهبوا – على الشكل : ولا تكرهوا المملوكات لديكم ملك يمين على الزنا ، إن أردن تعفّفاً ، لتبتغوا من كسب هذا الزنا عرض الحياة الدنيا ..

.. نقول : لقد علّق الله تعالى المنع من الإكراه في مسألة البغاء هذه ، على وجـــود إرادة التحصّن عند المرأة المعنيّة ، وذلك بكلمة ﴿ إِنْ ﴾ في العبارة : ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ .. وبناءً على تفسيرهم – غير السليم – لزم عدم منعهنّ من الزنا في حـــال عـــدم وجود إرادة التحصّن عندهنّ ، وهذا ينافي ما أتى به القرآن الكريم جملـــةً وتفـــصيلاً ، ولذلك لا بدّ من إدراك معنى هذه الصورة القرآنيّة من كتاب الله تعالى ذاته ، بعيداً عن الروايات ، والأقوال التي تناقض صريح القرآن الكريم ..

فقوله تعالى ﴿ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ينفي مسألة الزنا من أساسها ، فالمرأة المؤمنة الشريفة عليها أن تقاوم فعل الزنا وإن أُكرهت عليـــه ..

.. إن البغي كما يرد في كتاب الله تعالى يعني تجاوز الحدّ بإلغاء حدود الآخـــرين ، والسيطرة على حقوقهم ، والإحصان في القرآن الكريم يكون إمّا إحصان عفّة وطهارة بأن تمنع المرأة نفسها عن الفاحشة عفّةً وطهارة ، وإمّا إحصان زواج بأن تمنع الفاحشة عن نفسها من خلال الحلال مع زوجها ، وإمّا إحصان الإسلام بأن تلتـــزم بمنـــهج الله

تعالى التي يعصمها عن الخطأ ، وقد رأينا في النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة) هذه الأنواع من الإحصان بشكلٍ مفصّل ..

وفي الصورة القرآنيّة التي ندرسها ، يقول تعالى لنا : لا تكرهوا النساء اللاتي تحت ولايتكم على تجاوز حقوقهنّ المشروعة ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ ﴾ إن أردن أيّ وجهٍ من أوجه الإحصان ، فالتي لا تريد الزواج وتختار العفّة والطهارة ، يكون إكراهها على الزواج دفعاً لها نحو تجاوز حقّها المشروع الذي تريده ، والتي تريد الزواج يكون منعها عنه دفعاً لها نحو تجاوز حقّها المشروع ، والتي تريد التفرّغ للقيام بشعائر الله تعالى وعبادته يكون منعها عن ذلك دفعاً لها نحو تجاوز حقّها المشروع الذي تريده ، فدفعها نحو ﴿ ٱلْبِغَآءِ ﴾ بإحلال ابتغائنا لعرض الحياة الدنيا ﴿ لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾ مكان ما تبتغيه من الحلال المشروع ، ينهانا الله تعالى عنه .. هذا ما نُدركه من دلالات هذه الصورة القرآنيّة بعيداً عن فرض الروايات التاريخيّة عليها .. ..]]

.. ويتابع هذا المدعو قائلاً :

[[ثمَّ الطامّة الكبرى ، تفسيره للمؤمنات ، قال إنَّ الإيمان لا يقتصر على المسلمين فقط ، واحتجَّ جاهلاً بقوله : ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون ، مع أنَّها دليل على أنّهم ليسوا بمؤمنين ، فدلّس في قوله منهم المؤمنون ، مع أنَّ المراد من ذلك أيضاً الذين دخلوا الإسلام من أهل الكتاب فصاروا مسلمين ، مثل قوله تعالى : من أهل الكتاب أمّةٌ قائمةٌ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات ، فقصد الله تعالى الذين أسلموا وكانوا قبل ذلك من أهل الكتاب ، ويدلُّ على ذلك قوله : الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنَّه الحقّ من ربّنا إنّا كنّا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرّتين بما صبروا ، أي هؤلاء الذين كانوا من أهل الكتاب لّما سمعوا بالنبي آمنوا به ، لذلك سيؤتون أجرهم مرّتين ، فقد آمنوا بمحمّد الذي وجدوه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، ولّما رأوه آمنوا به ، وفي

البخاري ثلاثة يؤتون أجرهم مرّتين ، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيّه وأدرك النبيَّ ﷺ ، وقوله تعالى وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله ، قال تعالى وما أنزل إليكم ما أنزل إليهم ، أي يؤمنوا بالقرآن ويؤمنوا قبل ذلك بالتوراة والإنجيل ، وقد أطلق الله على النصارى واليهود لفظ الكفر صراحة في كتابه ، وجعل الكفر مناقضاً للإسلام ، وآيات سورة محمّد دليل على ذلك ، بل إنَّ الإيمان أعلى درجة من الإسلام ، بدليل قوله تعالى : قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم ، فالإيمان لا يدخل القلب إلاّ بعد استقرار الإسلام فيه ، ثمَّ احتجّ بقوله : ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا ، ولا علاقة لها بالموضوع أصلاً ، فمنهم من ذهب أنّها نزلت في أسامة بن زيد لمّا قتل الرجل بعد أن نطق الشهادة ، والقصّة مشهورة ، أو في حادثة أُخرى لا علاقة لها بذلك ، وكان من المشركين ، لا من أهل الكتاب]] ..

.. هنا يتجلّى – في قول هذا المدعو – الفكرُ الظلاميُّ الذي لا يرى الآخر إلاَّ كافراً أو فاسقاً ، بمعنى لا يستطيع أن يرى الآخر في ساحة الإيمان ..

فقوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، يرى فيه العبارةَ القرآنيّةَ ﴿ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ على أنَّها لا تعني إلاَّ المسلمين أتباع الرسالة الخاتمة دون أن تعني أحداً من أهل الكتاب ..

.. فلو كانت العبارة القرآنيّة ﴿ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ لا تعني إلاَّ الذين دخلوا في الرسالة الخاتمة من أهل الكتاب ، لكان هؤلاء من المسلمين وليس من أهل الكتاب ، فكلُّ إنسان يعتنق الإسلام (دين الرسالة الخاتمة) يُصبح مسلماً ، وينتهي تعلُّقه بأيِّ انتماءٍ ديني لاعتقاده الذي كان عليه قبل دخوله الإسلام ..

.. ألا يقف هؤلاء الظلاميّون عند كلمة ﴿ مِّنْهُمُ ﴾ في قوله تعالى ﴿ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ ؟ .. أليست كلمة ﴿ مِّنْهُمُ ﴾ تتعلّق بأهل الكتاب ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ﴾ ؟ .. المسألة عند هؤلاء أنَّ دلالات كتاب الله تعالى تابعة لأهوائهم وأقوال أصنام التاريخ من مشايخهم ومذاهبهم وطوائفهم ، فلا قيمة – عندهم – لصياغة دلالات العبارات القرآنيّة ، ولا يستطيعون النظر إلى كتاب الله تعالى إلاَّ من مناظير مسبقة الصنع تمَّ توليفها وسكبها في قوالب العصبيّات التي أتى الدين الحق لإبطالها ..

ما يفعله هؤلاء الظلاميّون هو عين ما فعله أهل الكتاب ، فزَعْم أهلِ الكتاب باحتكار الخلاص لأنفسهم دون الآخرين ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١] ، زعمَه هؤلاء الظلاميّون كما هو تماماً ، وهذا يتجلّى في قول هذا المدعو وأمثاله :

[[ثمَّ الطامّة الكبرى ، تفسيره للمؤمنات ، قال إنَّ الإيمان لا يقتصر على المسلمين فقط ، واحتجَّ جاهلاً بقوله : ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون ، مع أنَّها دليل على أنّهم ليسوا بمؤمنين]] ..

.. لقد زعموا عين ما زعمه اليهود ، في الوقت الذي يُعرضون فيه عن دلالات قوله تعالى ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٣ – ١٢٤] ، ولو كانت عندهم ذرّة بحث عن الحقيقة لكفتهم الكلمتان ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾ .. لكن من يُعرض عن كتاب الله تعالى واضعاً روايات التاريخ وأقوال البشر حجّة على كتاب الله تعالى لا بدَّ أن يقول بما يقوله هؤلاء ..

.. أمَّا قوله تعالى ﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران : ١١٣ – ١١٤] ، فمن الواضح أنَّه يُصوِّر لنا جزءاً من أهل الكتاب ، وهذا الجزء من أهل الكتاب على الرغم من اتّصافه بهذه الصفات فإنَّه ما زال جزءاً من أهل الكتاب ، وإلاَّ كيف بنا أن نفهم قوله تعالى﴿ ۞ لَيْسُوا سَوَآءً ۗ ﴾ ؟ ، فلو كان المعنيّون مسلمين لتناقض ذلك مع قوله تعالى ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ..... ﴾ ، فهذه الأمّة القائمة هي من أهل الكتاب ، فكيف يكونون مسلمين في الوقت الذي يصفهم الله تعالى بقوله ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ؟!!! .. لو كان الأمر كذلك لوُصف المسلمون الأوَّلون باعتقاداتهم السابقة قبل دخولهم الإسلام .. أليس الإنسان الذي يعتنق الإسلام يصبح مسلماً وينتهي تعلّقه بمعتقده السابق ؟ ..

وبالنسبة لاستشهاد هذا المدعو على صحة ما يقول بقوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ [القصص : ٥٢ – ٥٣] ، فأنقل نصاً حرفيّاً من كتابي : النظريّة السادسة (سلّم الخلاص) ، ليرى كلُّ باحث عن الحقيقة حجم التيه الذي يغرق به هؤلاء ، وحجم جهلهم بدلالات كتاب الله تعالى ..

[[.. ولو عدنا إلى كتاب الله تعالى لرأينا أنَّ إتيان الله تعالى الكتاب لإنسان يعني وضع هذا الإنسان في موقف المعرفة التامّة لحقيقة الكتاب ذاته الذي آتاه الله تعالى إياه ، ولا يعني مجرَّد المعرفة العاديّة بهذا الكتاب .. ولو نظرنا في النصوص القرآنيّة التالية حيث الكلمات : [[﴿ ءَاتَيْنَا ﴾ ، ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ﴾ ، ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ﴾]] يعود الضمير فيها إلى الله سبحانه وتعالى ..

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ [البقرة : ٥٣]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البقرة : ٨٧]

﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [البقرة : ٢٥٣]

﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [النساء : ٥٤]

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١٥٣]

﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء : ١٦٣]

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة : ٤٦]

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الأنعام : ١٥٤]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [هود : ١١٠]

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الإسراء : ٢]

﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٥]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٨]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [المؤمنون : ٤٩]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الفرقان : ٣٥]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [القصص : ٤٣]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [السجدة : ٢٣]

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴾ [الصافات : ١١٤ – ١١٧]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [فصلت : ٤٥]

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ [الجاثية : ١٦]

﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ [الحديد : ٢٧]

.. والعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ في كتاب الله تعالى ، دلالاتها تتطابق بنسبة كبيرة مع دلالات هذه العبارات القرآنيّة التي تحوي الكلمات [[﴿ ءَاتَيْنَا ﴾ ، ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ﴾ ، ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ﴾]] والتي – كما رأينا – يعود الضمير فيها إلى الله سبحانه وتعالى ..

.. وهذه العبارة القرآنيّة التي تصوِّر إتيان الله تعالى للكتاب ، تختلف دلالاتها – كما نرى – عن الدلالات المحمولة بالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، حيث نرى صيغة المبني للمجهول ﴿ أُوتُوا۟ ﴾ ... فقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يصف الذين خصّهم الله تعالى بمعرفة الكتاب الذي آتاهم إيّاه ..

.. وفي قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد : ٣٦ – ٣٧] ، نرى أنَّ المعنيّين بالعبارة القرآنيّة ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ هم من خواصِّ المسلمين ، بدليل قوله تعالى ﴿ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ ، ولا يمكن أن يُستبدل المعنيّون بهذه العبارة – هنا – بـ ﴿ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ من متّبعي رسالتي موسى وعيسى عليهم السلام ، ولا يمكن أن يُستبدلوا بالذين تعنيهم العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ..

.. وفي قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم

مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام : ١١٢ – ١١٤] ، نرى أنَّ المعنيّين بقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ هم أيضاً من خواصِّ المسلمين الذين يعلمون أنَّ القرآن الكريم مُنزَّل من الله تعالى ، ولا يمكن – أبداً – أن يكونوا من المعنيّين بالعبارة القرآنيّة ﴿ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ، ولا يمكن أن يكونوا من المعنيّين بالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ..

.. ولننظر في قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة : ١١٨ – ١٢٢] ..

.. هنا على الرغم من ورود العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وسط نصٍّ يُذكر فيه اليهود والنصارى وبنو إسرائيل ، إلاَّ أنَّ دلالاتها لا يمكن أن تصف – كما يحلو لبعضهم – طائفةً يتلون القرآن الكريم حقَّ تلاوته من أهل الكتاب .. فمن جهة جميع المعنيّين بقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ هنا يتلون الكتاب المعنيَّ (الكتاب الذي آتاهم الله تعالى إيّاه) حقَّ تلاوته ، وهذا لا يمكن أبداً حمله على تلاوة

أهل الكتاب للقرآن الكريم .. فلو أنَّ كلَّ أهل الكتاب يتلون القرآن الكريم حقَّ تلاوته لما كانوا من المعنيّين بقوله تعالى ﴿ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ..

.. وورود هذه العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ في سياقٍ يعني أنبياء الله تعالى الذين يأمر الله تعالى نبيّه محمّداً ﷺ ويأمرنا من بعده أن نقتدي بهداهم ، يبيّن لنا حقيقة الدلالات التي تحملها هذه العبارة القرآنيّة ..

﴿ ..... وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٦ – ٩٠] ..

.. فكما أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ تعني أهل الكتاب وتعني المسلمين وذلك حسب السياق القرآني المحيط بها ، كذلك نرى أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ تعني أحياناً بعض المنتمين للرسالات السابقة وتعني أحياناً بعض المنتمين للرسالة الخاتمة ، وذلك حسب السياق القرآني المحيط ..

.. ولننظر في قوله تعالى التالي لنرى كيف أنَّ هذه العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ لها دلالاتها التي تميّزها عن دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، فقد وردت هاتان العبارتان القرآنيّان في ذات النص ..

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟

ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ١٤٤ – ١٤٨] ..

.. هنا نرى أنَّ المعنيّين بقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ يعرفون هذا الكتاب الذي آتاهم الله تعالى إيّاه كما يعرفون أبناءهم ، فالضمير في كلمة ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾ يعود إلى الكتاب الذي آتاهم الله تعالى إيّاه ..

.. ولننظر إلى العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ في السياق القرآني المحيط بها في قوله تعالى التالي ، لنرى كيف أنَّ هذه العبارة القرآنيّة لا تخرج دلالاتها عن دلالاتها في العبارات الأخرى التي رأيناها ..

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٨ – ٢٢] ..

.. ولننظر إلى العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴾ في السياق القرآني المحيط بها ..

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [القصص : ٤٦ – ٥٤] ..

.. القول بأنَّ المعنيّين بالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ ﴾ هم أهل الكتاب الذين آتاهم الله تعالى التوراة والإنجيل من قبل القرآن الكريم ، وسمعوا بالنبي ﷺ في حياته وآمنوا به .. هذا القول .. يتناقض مع المقدّمة التي انطلق منها هذا القول .. فالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ تعني (حسب تلك المقدّمة) متّبعي التوراة والإنجيل ، والضمير في العبارة ﴿ مِن قَبۡلِهِۦ ﴾ (حسب تلك المقدّمة) يعود إلى القرآن الكريم .. بناء على كلِّ ذلك فإنَّ كلَّ أهل الكتاب قد آمنوا ودون استثناء بالقرآن الكريم ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴾ .. وهذا

فسادٌ في التفسير ينقضه كتاب الله تعالى جملةً وتفصيلاً ، وينقضه الواقع جملةً وتفصيلا ..

.. سياق الكلام السابق لهذه العبارة القرآنيّة يؤكِّد أنَّ المخاطبين ليسوا أهل الكتاب (أتباع الرسالتين السابقتين للرسالة الخاتمة) ، فالعبارات : [[﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ ، ﴿ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، ﴿ قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ﴾ ، ﴿ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴾]] ، تؤكِّد أنَّ المخاطبين هم بعض قوم النبيِّ ﷺ .. ويستمرُّ سياق الكلام عن هؤلاء إلى أن يصل إلى العبارة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، لتبدأ بعد ذلك عبارة قرآنيّة تبيّن حقيقة المعنيّين بالعبارة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، وهذه العبارة هي ﴿ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ ... فالكلمتان ﴿ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ تعنيان : من قبل إتيان الله تعالى لهم الكتاب هم بهذا الكتاب يؤمنون ، وهذا شبيه بعبارة قرآنيّة في الآية التالية لهذه الآية مباشرة ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ ، أي من قبل إتيان الله تعالى لهم الكتاب كانوا مسلمين .. فكيف يكون ذلك ؟ ..

.. لقد بيّنا أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ تعني النخبة الذين آتاهم الله تعالى الكتاب إتياناً يعرفون به حقيقة هذا الكتاب ، وليس مجرّد معرفة عاديّة كغيرهم من الذين يعرفون أنَّه من عند الله تعالى .. فهؤلاء المعنيّون بقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ – في النصِّ الأخير – آمنوا بالقرآن الكريم وأسلموا قبل إتيان الله تعالى لهم الكتاب ، فقبل إتيان الله تعالى لهم الكتاب كانوا من الذين تعنيهم العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، وقد بيّنا أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ تعني أهل الكتاب وتعني المسلمين ، وذلك تبعاً للسياق القرآني المحيط ..

.. والعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ نرى فيها أنَّ إتيان الكتاب لا يأتي بصيغة المبني للمجهول ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ﴾ ، فهو بصيغة المعلوم ويتعلَّق بالله سبحانه وتعالى ، ولذلك – كما قلنا – يصف الخصوصيّة الواقفة على معرفة حقيقة الكتاب .. فبعد إيمانهم بأنَّ هذا الكتاب من عند الله تعالى ، وبعد وقوفهم على حقيقته وقوفاً يتميّزون به عن غيرهم من المؤمنين بإنزاله من عند الله تعالى ، بعد ذلك ، آتاهم الله تعالى المعرفة الحقّ بهذا الكتاب ..

.. بينما في العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ نرى فيها صيغة المبني للمجهول ﴿ أُوتُواْ ﴾ وهي تشمل ساحة واسعة أوسع من الساحة التي تشملها العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ .. فالمعنيّون بالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ لا يقفون وقوفاً كاملاً على حقيقة هذا الكتاب كما يقف المعنيّون بالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ..

.. وهذه الحقيقة تتجلّى معنا حينما ننظر في قوله تعالى التالي حيث نرى كيف أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ لها دلالاتها التي تميّزها عن دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ، وله دلالاتها التي تميّزها عن صنف ثالث هم من المسلمين المعنيّين بقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ..

﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٥ – ٤٧] ..

فالعبارة القرآنيّة ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ لا تعني أهل الكتاب ، فهؤلاء المعنيّون بهذه العبارة القرآنيّة يؤمنون بكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ ﴾ .. وهناك صنف آخر من المسلمين يصفهم الله تعالى بقوله ﴿ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ ﴾ ، وهناك صنف مختلف لا يؤمن بالقرآن الكريم ﴿ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ ..

.. إذاً العبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ تصف النخبة والخواص من المعنيّين بالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ .. وبالتالي فهؤلاء الذين آتاهم الله تعالى الكتاب يعرفون حقيقته معرفة كبيرة ، ولذلك نرى في كتاب الله تعالى أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۘ ﴾ ، والتي ترد مرّتين في كتاب الله تعالى ، تتعلَّق بالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ حصراً ، فكون إتيان الكتاب لهم هو من عند الله تعالى يقتضي أنَّهم يعرفون هذا الكتاب كما يعرفون أبناءهم ..

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٦]

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٠]

.. وورود كلمة ﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ ﴾ بصيغة المضارع دليلٌ على أنَّ المعنيّين بالعبارة القرآنيّة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ ليسوا فئةً كانت في يوم من الأيام (عصر الجيل الأوَّل) وانتهت .. هذه الصيغة ﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ ﴾ تدلّ على أنّ المعنيّين بقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ هم أناسٌ لهم وجودهم في كلِّ زمانٍ ومكان ..

.. إذاً .. الضمير في كلمة ﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ ﴾ في هاتين الآيتين يعود إلى ذات الكتاب الذي آتاه الله تعالى للمعنيّين في كلِّ آية كريمة ..]] ..

.. من هنا نرى حجم الضلال والغرق في مستنقع التيه الذي يغرق فيه هذا المدعو وذلك حينما نقرأ قوله :

[[الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنَّه الحقّ من ربّنا إنّا كنّا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرّتين بما صبروا ، أي هؤلاء الذين كانوا من أهل الكتاب لّما سمعوا بالنبي آمنوا به ، لذلك سيؤتون أجرهم مرّتين ، فقد آمنوا بمحمّد الذي وجدوه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، ولّما رأوه آمنوا به]] ..

.. أمّا قول هذا المدعو : [[وقد أطلق الله على النصارى واليهود لفظ الكفر صراحة في كتابه ، وجعل الكفر مناقضاً للإسلام ، وآيات سورة محمّد دليل على ذلك ، بل إنَّ الإيمان أعلى درجة من الإسلام ، بدليل قوله تعالى : قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولّما يدخل الإيمان في قلوبكم ، فالإيمان لا يدخل القلب إلاّ بعد استقرار الإسلام فيه]] فهو دليلٌ على الفكر التكفيري ، ودليلٌ على الخلط الذي يتيه في دياجيره أتباع هذا الفكر ..

كيف نفهم قول هذا المدعو [[فالإيمان لا يدخل القلب إلاّ بعد استقرار الإسلام فيه]] ، وذلك في معيار الآية الكريمة التي يستشهد بها هذا المدعو : ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾ [الحجرات : ١٤] ؟!!! .. فما هو الإسلام الذي يعنيه ؟!!! ..

.. أليس هؤلاء الأعراب أسلموا ﴿ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ﴾ ، فلماذا إذاً – بناء على قول هذا المدعو بأنَّ الإسلام مقدّمة الإيمان – لماذا لم يؤمنوا ﴿ وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾ ؟!!! .. ثمَّ كيف لهذا المدعو أن يشرح لنا إيمان بعض أهل الكتاب دون أن يكونوا مسلمين ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الحجرات : ١٤] ..

.. ولا نطلب من هؤلاء أن يقفوا عند قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النساء : ٩٤] .. لأنَّ دلالات هذه العبارات القرآنيّة عندهم لا علاقة لها بصياغتها اللغويّة ، فحسب زعمهم دلالاتها محصورة بحادثة تاريخيّة لا تخرج عنها ، تتعلّق بأسامة بن زيد ، أو في حادثة أُخرى ، وهذا ما ينطق به هذا المدعو :

[[ثمَّ احتجّ بقوله : ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا ، ولا علاقة لها بالموضوع أصلاً ، فمنهم من ذهب أنّها نزلت في أسامة بن زيد لّما قتل الرجل بعد أن نطق الشهادة ، والقصّة مشهورة ، أو في حادثة أُخرى لا علاقة لها بذلك ، وكان من المشركين ، لا من أهل الكتاب]] ..

لو كانوا يخجلون من الله تعالى لّما وضعوا حادثة تاريخيّة احتمال الكذب فيها لا يزيد على احتمال الصدق ، لما وضعوها حجّة على دلالات كتاب الله تعالى ، وإلاَّ كيف نفهم قول هذا المدعو [[فمنهم من ذهب أنّها نزلت في أسامة بن زيد لّما قتل الرجل بعد أن نطق الشهادة ، والقصّة مشهورة ، أو في حادثة أُخرى لا علاقة لها بذلك ، وكان من المشركين ، لا من أهل الكتاب]] .. فالمسألة مسألة احتمالات ومسألة قيل وقال ومسألة روايات لا يمكنها أن تلامس اليقين بشيء ..

.. ويتابع هذا المدعو قائلاً :

[[والسؤال لعدنان : كيف ستتصرف في قوله : وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلاّ خطأً ، فعلى مذهبه فيها إسقاطٌ للجهاد ، فاليهود والنصارى منهم المؤمنون فلا يجب أن نقتل منهم أحداً حتى نختبر إيمانه ، فأيُّ عبثٍ هذا ، فتأمّل رعاك الله كيف أوصلنا إلى نتيجة خطيرة ، أهل الكتاب منهم المؤمنون فلا يمكن قتالهم]] ..

وأردّ على ذلك فأقول : كلام هذا المدعو دليلٌ على أنَّ الآخر عند كافر فقط لأنَّه آخر ، وأنَّ الجهاد عنده هو ضدّ الآخر لأنَّه آخر ، وإلاَّ فما علاقة الجهاد بذلك ، ولماذا

نقتل أحداً من اليهود والنصارى – أو غيرهم – ما دام لا يقاتلنا في ديننا ولا يخرجنا من ديارنا ؟!!! .. وكيف لهذا المدعو وأمثاله أن يفهم قوله تعالى التالي على ضوء قوله [[فتأمّل رعاك الله كيف أوصلنا إلى نتيجة خطيرة ، أهل الكتاب منهم المؤمنون فلا يمكن قتالهم]] ..

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة : ٨ – ٩] ..

.. أمَّا السفسطة في قول هذا المدعو التالي فأترك الإجابة عليه لكلِّ من شاهد البرنامج أو قرأ كتاب : الحكمة المطلقة .. فكلام هذا المدعو لا يستحق الرد عليه ..

[[فمهر الأمة أقلّ من الحرّة ، وقوله : والله أعلم بإيمانكم ، فليس الرجل الحر بأعلى إيماناً من الأمة المؤمنة ، بل المؤمنون سواء ، كانوا أحراراً أم عبيد ، ولا يستقيم القول والله أعلم بإيمانكم إذا كنت أنا مسلماً وهي كافرة أو من أهل الكتاب ، فكيف ذلك ؟ ، فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ، أي إنّ حدَّهن إذا تزوجن نصف حد الحرّة الزانية ، أمّا قوله وإن تصبروا خيرٌ لكم ، فليس كما قال ، أنَّ الله لا يمنع من الزواج بسبب الفروق الطبقيّة ، بل إنَّ الزواج بالأمة أيسر وأقل كلفة ، وحينها يقل الزواج بالحرائر ، وذلك سيؤدّي إلى ضررٍ أكبر بالمجتمع ، ولأنَّ الأصل في الزواج التكافل ، فلا يترتّب عليه من المشاكل بعد ذلك]] ..

ويتابع هذا المدعو قائلاً :

[[والآية التي أخّرها لآخر الحلقة ليسقط عليها كلّ تحريفه فيصرفها عن معناها ، قوله تعالى : والذين هم لفروجهم حافظون إلاَّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنّهم غير ملومين ، قال : إنَّ الله تعالى استخدم (أو) ، يعني لا يمكن الجمع بينهما ، وهذا حتى على مذهبه غريب ، إن أنا تزوجت مسلمة هل لا يجوز لي أن أتزوج بعدها كتابيّة ؟ ، لا يجوز لي أن أجمع مثلاً بين مسلمة وكتابيّة ؟ ، وهذا جهلٌ لا يستغرب من مثله ،

وَ (أو) تأتي ويكون معناها (وَ) ، قوله تعالى : ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم ، هل إذا أكلت أنا من بيتي لا آكل من بيت أبي أو أمّي ؟ ، مثلاً إذا قلت أنا لصاحبي : لا تدخل البيت إلاَّ إذا وجدتني أو وجدت أخي ، هل إذا وجدني أخي لا يدخل ؟]] ..

.. المشكلة عند هؤلاء ليست في مجرد كونهم جهلة ، إنّما تتعدّى ذلك إلى أنَّهم يحسبون أنفسهم عالمين ، وإلى أنَّهم أقنعوا أنفسهم بما لا يستطيع عقلٌ قبوله .. فالآية الكريمة ﴿ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ ﴾ [النور : ٦١] ، يرى فيها هذا المدعو أنَّ كلمة ﴿ أَوۡ ﴾ لا بدَّ أن تكون (وَ) .. وهذا – فضلاً عن كونه يحمل إساءة لصياغة كتاب الله تعالى واتّهاماً لها بالنقص – هو جهلٌ بحقيقة الأحكام المحمولة بهذه العبارات القرآنيّة ..

.. لو قال تعالى : ((أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ وَ بُيُوتِ آبَائِكُمْ وَ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ وَ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ وَ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ وَ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ وَ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ .....)) .. لكان الأمر بالسماح بالأكل هو باجتماع هذه البيوت ، ولكنَّ الأكل من إحداها مسألة مستقلّة عن الأكل من البقيّة ، وهل يستطيع الإنسان أن يأكل – في الوقت ذاته – من كلِّ هذه البيوت ، أو من بيتين منها ؟!!! ..

.. القضيّة تتعلَّق بالمسألة وإسقاطها على أرض الواقع ، فالأكل – في الوقت ذاته – يكون في مكان واحد ، أي في بيت بعينه .. بينما النكاح الذي هو العقد بين الرجل والمرأة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ ﴾ [الأحزاب : ٤٩] ، يمكن أن يكون بين رجل وأكثر من امرأة ، من هنا نفهم دلالة كلمة ﴿ أَوۡ ﴾ في قوله تعالى :

﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾ [المؤمنون : ٦]

﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾ [المعارج : ٣٠]

.. ومّما يؤكّد صحّةَ ما نذهب إليه هو العطف بين الزواج وملك اليمين بالحرف ﴿ وَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] .. فعلم الله تعالى يحيط بهاتين المسألتين ﴿ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ في الوقت ذاته ، ولذلك نرى العطف بالحرف ﴿ وَ ﴾ وليس بكلمة ﴿ أَوۡ ﴾ ..

بينما في المسألة التي احتجّ بها هذا المدعو فإنَّ الإنسان لا يستطيع أن يأكل في الوقت ذاته من بيتين مختلفين ، وفي المسألة التي بين أيدينا ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾ ، نرى ورود العطف بكلمة ﴿ أَوۡ ﴾ وليس بالحرف ﴿ وَ ﴾ ، بينما في مسألة علم الله تعالى الكاشف رأينا العطف بالحرف ﴿ وَ ﴾ وليس بكلمة ﴿ أَوۡ ﴾ .. وكلُّ ذلك بحكمة إلهيّة مطلقة يحيط بها علم الله تعالى المطلق ، ولا يجوز استبدال دلالة كلمة ﴿ أَوۡ ﴾ بدلالة الحرف ﴿ وَ ﴾ .. ولا أريد الإطالة فقد بيّنت ذلك (في كتبي وفي لقاءاتي على الفضائيات) لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ..

ويتابع هذا المدعو قائلاً :

[[وأخيراً ، نصل لعدّة نتائج ، عدنان يطعن في النبي فضلاً عن دونه من الصحابة والتابعين وسلف الأمّة كلّها ، والله تعالى يقول كنتم خير أمّة أخرجت للناس ..

عدنان يضع أوّلاً المقدّمة الباطلة التي يريد الوصول إليها ، ثمّ يلوي عنق الآيـــات ويقفز فوق النصوص ليتمّ له ذلك ، أي هو يجعل من اليهود والنصارى مؤمنين ، وربّما هذا مراده ومراد من وراءه من الأساس ..

وأوصيكم أخواني بأن لا تأخذوا دينكم من هذه القنوات العلمانيّة كدريم وغيرها ، فلا همّ لهم غلاّ ما يدخل جيوبهم من نقود ، والله لو عرضوا برامج لإبليس نفسه ، وأوصيكم ألاّ تتكاسلوا عن نشر هذا المقطع لمن في قائمتكم من الأصدقاء ، فالدال على الخير كفاعله ، أحبّكم في الله ، والسلام عليكم ورحمة الله .]] ..

أردُّ على ذلك فأقول : هذه السفسطة هي أمرٌ طبيعي لمن يعتبر جهله علماً ولا يملك ذرّة من إرادة لمعرفة .. وأنا أتحدّى كلَّ المهرّجين المتاجرين بالسنّة الشريفة أن يأتوا لي بمقطع من برنامج ، أو بعبارة من كتاب أو مقال أو محاضرة فيها مجرّد إشارة لذرّة من إساءة للنبيِّ ﷺ ، أو لغيره من الصحابة أو آل البيت أو .....

وقول هذا المدعو بأنّنا نلوي أعناق الآيات وأنّنا نقول بأنَّ اليهود مؤمنون هو قول لا يفهم معناه ، فهؤلاء لا يستطيعون الارتقاء إلى مستوى إدراك الفارق بين دلالة كلمة اليهود في كتاب الله تعالى وبين دلالة العبارة (الذين هادوا) ، فقد بيّنت في النظريّة السادسة (سلّم الخلاص) كيف أنَّ كلمة اليهود تعني الذين خرجوا على الحق في رسالة موسى عليه السلام ، فكيف إذاً أقول عنهم بأنَّهم – كما يدّعي هذا المدعو – كلّهم مؤمنون ؟!!! ..

أمّا قوله [[أي هو يجعل من اليهود والنصارى مؤمنين ، وربّما هذا مراده ومراد من وراءه من الأساس]] ، وبقيّة كلامه ، فأترك الرد عليه للأخوة القرّاء ..

.. فأنا في هذه العجالة لا أردّ على هذا المدعو وأمثاله ، إنّما أكتب – بإيجاز – كلمات للباحثين عن الحقيقة أبيّن فيها فساد الفكر التراثي الجمعي الذي حامله الظلام والتكفير وإلغاء الآخر .. ففي كتبي وبرامجي تبيان يفنّد كلّ الأوهام والافتراءات التي يدّعيها هؤلاء ..

والله تعالى وليُّ التوفيق

المهندس عدنان الرفاعي

مركز الذِّكْر

للدراسات الإسلاميّة

موقع :

الكاتب والمفكِّر الإسلامي

المهندس عدنان الرفاعي

www.thekr.net

adnan@thekr.net